
أباطرة الشر
٧٠

١ ــ الخيانة ..

ارتسمت ابتسامة ارتياح واسعة ، على شفتى الملازم (براون) ، وهو يقود سيارته ، فى طريقه إلى منزله ، بعد أن اطمأنَّ إلى مغادرة الطائرة ، التى تقلّ (منى توفيق) ، والدكتور (أحمد صبرى) ، مطار (نيويورك) ، فى طريقها إلى (القاهرة) ، وضمَّ شفتيه ، وهو يطلق صفيرًا متغمًا ، يشبه أحد الألحان المَرحة ، التى نالت شهرة واسعة فى الستينات ، ثم لم يلبث أن غمغم ، وهو يعاود الابتسام :

ــ ياله من رجل !!

كان ، وهو يغمغم بتلك العبارة ، يتذكّر تلك الأحداث الرهيبة ، التى شهدها ، وعايش بعضها ، منذ التقى بـ (أدهم صبرى) و (منى توفيق) ، ويتساءل : كيف حدث كل هذا ؟.. وكيف نجح (أدهم) فى فعل ما عجزت عنه كل سلطات (نيويورك) طويلًا ؟..

ولكن ما يعرفه الملازم (براون) كان أقلّ القليل ممّا تضمّنه تلك المغامرة المعقَّدة ..

لم يكن يعلم كيف بدأ كل شىء ..

لم يكن يعلم أن البداية كانت في منزل (أدهم صبرى) ،
في (مدينة المهندسين) ، في (القاهرة) ، حينما فوجئ
(أدهم) بزيارة (توماس ألبى) ، مدير المخابرات المركزية
الأمريكية له سرًّا ؛ ليسأله العون في محاربة طاغية يُدْعى الجنرال
(دافيد أوكونور) ..

و (أوكونور) هذا هو قائد وحدة خاصَّة ، من وحدات
الجيش الأمريكي ، يُطلق عليها اسم (صقور أوكونور) ، أنشأها
الأمريكيون للمرَّة الأولى ، بعد الحرب العالمية الثانية ؛ لمقاومة
أى غزو سوفيتى لبلادهم ، ومنحوها قلعة خاصَّة ، مزوَّدة
بقنبلة ذريَّة ، وثلاثة صواريخ ذات رءوس نوويَّة ، ووسائل دفاع
ومراقبة متطوِّرة ، ورصدوا لها ميزانية كبيرة ، تضمن تطويرها
وتحديثها دومًا ، إلى أن تمّ توقيع معاهدة الحدّ من الأسلحة
النوويَّة ، فقرَّر الأمريكيون حلّ الوحدة ، وإحالة أفرادها إلى
التقاعد ..

ولكن (دافيد أوكونور) رفض تنفيذ هذا الأمر ، وتمرَّد
على السلطة الشرعيَّة لبلاده ، وأعلن العصيان والحرب على
دولته ، وهدَّد بالتسبُّب في نشوب حرب نوويَّة ، عن طريق
إطلاق صاروخ نووى صَوْبَ (موسكو) ، لو لم يتمّ رفع

ميزانية وحدته إلى مليار دولار سنويًّا ، ومنح أفرادها حصانة
خاصَّة ، ضدّ القانون والقيم ..

ولم يكن أمام الأمريكيين سوى الاستسلام لمطالبه ، مما جعله
يتحوَّل هو ورجاله إلى طغمة من الطغاة الأشرار ، يعيثون
الفساد في مجتمعهم كله ..

وبدأ الأمريكيون يبحثون وسائل مقاومة (أوكونور)
وصقوره ..

ولمَّا كان (أوكونور) رجل مخابرات سابقًا ، يعرف كل
أفراد ووسائل المخابرات المركزية الأمريكية ، ويملك من القوة
ما يعجزهم عن قتاله علانية ، فقد قرَّر الأمريكيون الاستعانة
برجل واحد ، يملك قدرات فائقة متطوِّرة ، ومهارات قتالية
مدهشة ، يمكنه التصدِّى لـ (أوكونور) وصقوره ،
وتحطيمهم ، وانتزاع أنيابهم وسمومهم ..

ووقع اختيارهم على (أدهم صبرى) ، الذى قبل المهمَّة ،
في مقابل الحصول على قائمة كاملة بأسماء عملاء (الموساد) ،
في الشرق الأوسط كله ..

واصطحب (أدهم) (منى) إلى الولايات المتحدة
الأمريكية ، ليبدأ حربه مع (أوكونور) وصقوره ..

وفى ملهى من ملاهى (نيويورك) ، بدأت الجولة الأولى ، بصدام صريح بين (أدهم) و (منى) ، و (صقور أوكونور) ، انتصر فيه بطلانا ، فثارت ثائرة الطاغية ، وأعلن حربه عليهما بدوره ..

وكانت الجولة الثانية فى فندق (كونتننتال) ، حيث يقيم (أدهم) و (منى) ، وفى تلك الجولة كانت الهزيمة من نصيب (صقور أوكونور) أيضًا ، ولكنهم أصابوا (منى) بعدة رصاصات ، فى كتفها وذراعها ، واختطفوها فى سيارة إسعاف زائفة ، وتسببوا فى إصابة ذراعها اليسرى بالشلل ..

ولكنّ (أدهم) استعاد زميلته ، وتركها فى مستشفى (نيويورك) المركزى ، وانطلق مع الملازم (براون) إلى (واشنطن) ، حيث (قلعة الصقور)(*).

وهناك اندلعت معركة حامية الوطيس ، انتهت بوقوع (أدهم) فى قبضة (صقور أوكونور) ، إلا أنه نجح فى خداعهم ، بعد أن كشفوا حقيقته ، وأقنعهم بأنه رجل مخابرات هارب ، يسعى للانضمام إليهم ، واجتاز اختبارات قبول رهيبة ، أعدّها له الجنرال (أوكونور) ، صارع خلالها

(*) راجع الجزء الأول (قلعة الصقور) .. المغامرة رقم (٦٨) .

تمساحًا رهيبًا ، من نوع (الكايمان) ، وخمسة من أقوى رجال (أوكونور) ، حتى فاز بحق الانضمام إلى صقوره ..

وفى تلك الأثناء كان الدكتور (أحمد صبرى) ، شقيق (أدهم) ، قد حضر خصيصًا من (السويد) ، حيث يعمل ، إلى (نيويورك) ، تلبية لنداء شقيقه الوحيد ، وسعيًا خلف مداواة ذراع (منى) ..

وفجأة ، وبعد أن بدا أن كل شىء يسير على ما يرام ، ظهرت فى الصورة (سونيا جراهام) ، أفعى (الموساد) السابقة ، وأكثر خصوم (أدهم صبرى) براعةً وذكاءً ، وفتحت بظهورها أبواب الجحيم مرّة أخرى ..

وقاتل (أدهم) بكل ما يملك من قوّة ، حتى نجح فى الفرار من (قلعة الصقور) ، والعودة إلى (نيويورك) ، حيث اطمأنّ إلى شفاء (منى) ، وأصرّ على مغادرتها الولايات المتحدة الأمريكية مع الدكتور (أحمد) على الفوْر ، دون أن يدرى أن (أوكونور) قد أجبر المخابرات الأمريكية على إطلاق رجالها خلفه ، وأن (سونيا جراهام) قد ضمّت دون (كيرليونى) ، زعيم منظمة (المافيا) الأمريكية إلى اللعبة ، لتضمن إحكام الخناق حول رقبة (أدهم) ، والتخلّص منه هذه المرّة ..

وهكذا لم يعُد (أدهم) يقاتل (صقور أوكونور) وحدهم ..

لقد صار يقاتل أيضًا رجال المخابرات الأمريكية ، ومنظّمة (المافيا) ، و (سونيا جراهام) ..

باختصار .. يقاتل كل أباطرة الشرّ(*) ..

لم يكن الملازم (براون) يعلم كل هذا ، وهو يقود سيّارته إلى منزله ، حيث ينتظره (أدهم) ، ولكن شيئًا ما فجّر فى أعماقه قلقًا عنيفًا بغتة ..

وكان هذا الشىء هو سيّارة ، تتعقّبه فى إصرار ، منذ غادر مطار (نيويورك) ..

وزاد (براون) من سرعة سيّارته ، وهو يعقد حاجبيه ، مغمغمًا فى توتّر .

ـ عجبًا !!.. أيمكن أن يكون ذلك الوغد (أوكونور) قد عاوَدَ الهجوم ، بعد هذه المهلة القصيرة ؟!

تبعته السيّارة المُطارِدَة فى إصرار ، محافظةً على المسافة التى تفصل بينها وبينه ، فانحرف فجأة فى طريق جانبىّ ، وهو يقول فى حِدّة :

(*) راجع الجزء الثانى (أجنحة الانتقام).. المغامرة رقم (٦٩).

ـ حسنًا أيها الأوغاد ، فلنَرَ ماذا تريدون منّى بالضبط

وأوقف سيّارته فى قوّة ، ثم قفز منها ، وهو يستلّ مسدّسه ، ويصوّبه إلى السيّارة التى تتبعه ، صائحًا فى صرامة :

ـ قِفُوا .. غادروا السيّارة على الفوْر ، أو أثقب رءوسكم برصاصتى .

توقّفت السيّارة المطارِدة على الفوْر ، وتصوّر (براون) لحظة أنه قد سيْطر على الموقف ، ولكن فجأة ، قفز منَ السيّارة ثلاثة رجال أشدّاء ، يحملون مسدّسات قويّة ، مزوّدة بكواتم للصوت ، وقبل أن يطلق (براون) رصاصة واحدة ، أطاح أحدهم بمسدّسه ، برصاصة صامتة ، ثم اندفع الثلاثة نحوه ، وهم يضمّون قبضاتهم ، فتحفّز (براون) لمواجهتهم ، وهو يهتف فى غضب :

ـ حسنًا أيها الأوغاد ، إنكم تجيدون إطلاق النار ، فلنَرَ كم تبلغ مهارتكم القتالية .

طوّح أحدهم قبضته نحو فكّ (براون) ، الذى انحنى فى مهارة ، ولكَمَ الرجل فى معدته بقوّة ، ثم دارَ على عقبيْه ؛ ليصدّ لكمة الثانى ، وهو يركل الثالث فى قدمه ، إلّا أن الأوّل استعاد توازنه فى سرعة ، وانقضّ على (براون) من الخلف ، وطوّق

وسطه بذراعيه ، على حين هوى الثانى على فك (براون) بلكمة قوية ، دارت لها رأس هذا الأخير ، وارتج فى قوة ..

وانهالت لكمات وركلات الرجال الثلاثة على جسد (براون) فى عنف ..

كان من الواضح أنهم يجيدون القتال ، وتوجيه الضربات فى قوة ، حتى أن وجه (براون) قد تحول فى لحظات إلى حقل للكدمات والإصابات ، قبل أن يقبض اثنان منهما على ذراعيه فى قوة ، ويجبرانه على النهوض على قدميه ، على حين جذب الثالث شعره الأشيب فى قسوة ، وهو يسأله فى صرامة :

ــ أين (أدهم صبرى) ؟

غمغم (براون) فى حنق ومرارة :

ــ من هو (أدهم صبرى) هذا ؟.. لست أعرف من يحمل هذا الاسم .

هوت قبضة الرجل على معدته فى قوة ، وجعلته يتأوه فى ألم ، ويشعر برغبته فى إفراغ محتويات معدته فى وجه الرجل ، الذى عاد يسأله فى غلظة :

ــ هل تعلم أين نجد (أندريه لاكور) إذن ؟.. أليس هذا هو الاسم الذى تخاطبه به ؟

غمغم (براون) فى ألم :

ــ لست أعرف صاحب هذا الاسم أيه .....

قبل أن يتم كلماته ، هوت لكمة قاسية على فكه ، وأخرى فى معدته ، وارتفع صوت الرجل ، وهو يقول فى غضب صارم :

ــ اسمع أيها الزنجى الحقير .. إن هذا الشارع الجانبى خالٍ كما ترى ، ولن يجرؤ أحد سكانه على الخروج لاستطلاع ما يحدث ، وليس لدينا ما يشغلنا طيلة الليل ، ولن يقلقنا أن نواصل ضربك بلا رحمة حتى الصباح ، إلى أن تدلى لنا بما لديك .

هتف (براون) مختنقًا :

ــ اذهب إلى الجحيم .

وركل الرجل بغتة فى معدته ، ثم دفع جسده إلى الخلف ، فأوقع الآخرين ، وخلص ذراعيه منهما ، واندفع نحو الأول فى غضب ، فجذبه من سترته ، ودفعه نحو الحائط ، وهو يصرخ :

ــ من أنتم أيها الأوغاد ؟.. من أنتم ؟..

وفى حركة سريعة ، اكتسبها من عمله الطويل فى حقل الشرطة ، مد كفه إلى جيب سترة الرجل الداخلى ، وانتزع حافظته ، وفتحها فى سرعة ..

وهنا اتسعت عيناه في ذهول ، وهو يحدّق في البطاقة الأنيقة ، التي تحتلّ مكانًا بارزًا في الحافظة ، وتخلّى عن سترة الرجل ، وهو يغمغم مشدوهًا :

ـ ولكن لماذا ؟.. لماذا لجأتم إلى العنف ؟

عدّل الرجل سترته ، وأشار إلى زميليه ، اللذين كانا يستعدّان للانقضاض على (براون) مرّة أخرى ، فتوقّفا ، على حين سأل هو (براون) في صرامة :

ـ الآن وقد عرفْتَ مَنْ نحن ، أخبرني أين نجد (أدهم صبري) .

أجابه (براون) في دهشة :

ـ ينتظر عودتي في منزلي ، ولكن لماذا تبحثون عنه ؟ أليس ......؟

قاطعه فجأة صوت إبرة مسدّس تعدّ للإطلاق ، وفوّهة باردة تلتصق بمؤخرة رأسه ، فعقد حاجبيه ، وهو يقول في توتّر :

ـ ما الذي يعنيه هذا ؟

ابتسم الرجل الذي يواجهه ، وهو يقول في برود :

ـ يعني أنك قد أصبحت تعرف الكثير أيها الزنجي .. أكثر مما ينبغي .

اتسعت عينا (براون) ، وهو يهتف في هياج :

ـ أيها الأوغاد الـ ......

وانطلقت رصاصة صامتة ، كانت فصل الختام ..

* * *



٢ — من وإلى أين ؟.

شبّك دون (كيرليونى) ، زعيم منظمة (المافيا) الأمريكية ، أصابع كفّيه أمام وجهه ، وهو يجلس فى مقعده الضخم الوثير ، عاقدًا حاجبيه ، صامتًا مفكّرًا ، وراح عقله يبحث عن وسيلة لتبرير موقفه أمام دونا (كارولينا) ، إذا ما نما إلى علمها مسئوليته عن قتل (أدهم صبرى) ، بعد أن أصدرت أوامرها باعتبار هذا الأخير صديقًا للمنظمة ، وليس خصمًا لها ...

وبينما كان يسبح مع أفكاره ، سمع صوت طرقات خشنة على باب حجرة مكتبه الفاخرة ، فغمغم فى شرود :

— ادخل يا مَنْ تدقّ الباب .

دارت عيناه فى بطء إلى باب الحجرة ، حيث دلف رجل نحيل ، شاحب ، بارد الملامح ، يرتدى حُلّة حالكة السَّواد ، تجعله أشبه بمتعهّدى دفن المَوْتى ، واقترب من مقعده ، ووقف يتطلّع إليه بعينيه الباردتين الشفافتين ، قبل أن يغمغم فى صوت جافّ :

— هل طلبت رؤيتى أيها الزعيم ؟

عقد دون (كيرليونى) حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول فى حِدّة :

— كُفّ عن استخدام لفظ الزَّعيم هذا ؟

غمغم الشاحب فى برود :

— كما تشاء يا دون .

مطّ دون (كيرليونى) شفتيه فى حَنق ، وقال فى حِدّة :

— هل تعرف (أدهم صبرى) يا (بيمبولينى) ؟

غمغم (بيمبولينى) فى هدوء :

— الشيطان المصرىّ ؟

أومأ (كيرليونى) برأسه إيجابًا ، فاستطرد (بيمبولينى) فى هدوء :

— بالطبع .. إنه صديق الزعيمة الكُبْرى دونا (كارولينا) .

ازداد انعقاد حاجبَىْ دون (كيرليونى) ، وهو يقول فى خشونة :

— انس ذلك مؤقتًا ، فسأعهد إليك وإلى فريقك بمهمّة التخلّص منه .

برقت عينا (بيمبولينى) فى دهشة وتساؤل ، إلا أنّ ملامحه ظلّت جامدة ، وهو يسأل :

— أهى أوامر الزعيمة ؟

أجابه (كيرليونى) فى غلظة :

— بل أوامرى أنا .

ران الصمت لحظة ، حاول (يمبولينى) خلالها أن يفهم مغزى ذلك الأمر ، ثم لم يلبث أن نحّى الموضوع برُمّته جانبًا ، وسأل فى هدوء واقتضاب :

— متى ؟

أجابه دون (كيرليونى) فى توتُّر :

— ستبدأ المهمّة الآن ، وسيكون عليكم أن تبدءُوا بجمع المعلومات ، والتخلُّص منه فور العثور عليه .

سأله (يمبولينى) فى هدوء :

— أمِنَ الضرورىّ أن يبدو الأمر كحادث عرَضىّ ؟

غمغم دون (كيرليونى) :

— سيكون هذا أفضل .

ثم استطرد فى حزم :

— يمكنكم أن تبدءُوا من مستشفى (نيويورك) المركزىّ ، فهناك ينتهى آخر أثر للرجل .

غمغم (يمبولينى) فى هدوء :

— سنفعل .

ثم استدار ، وغادر مكتب زعيمه ، ليبدأ على الفور تنفيذ مهمّته ..

والتخلُّص من (أدهم صبرى) ..

* * *

« هذا لا يرُوق لى يا (سونيا) .. لا يرُوق لى على الإطلاق .. » ..

غمغم الجنرال (أوكونور) بتلك العبارة فى سخط ، وهو يدور فى عصبيّة ، داخل الجناح الفاخر ، الذى استأجره فى فندق (أستور) ، أفخم فنادق (نيويورك) ، عاقدًا حاجبيه ، وقالبًا شفتيه فى حَنَق ، فابتسمت (سونيا جراهام) ، وهى تشعل سيجارتها ، قائلة فى هدوء :

— لماذا يا جنرالى العزيز ؟.. إن دفع المخابرات المركزيّة ، و (المافيا) لدخول المعركة ، يضمن لنا تفوُّقًا لا مثيل له ، بحيث تهبط فرصة نجاة (أدهم صبرى) إلى الصفر .

أشار إلى صدره فى حِدّة ، وهو يهتف فى غضب :

— كنت أريد أن أتخلّص أنا منه ، بنفسى ، وبواسطة صقورى .

نهضت تحيط عنقه بذراعيها في دلال ، وهي تقول :

ـــ وما الفارق يا عزيزي (أوكونور) ؟. المهم أن نتخلص منه ، وبعدها فليحصل من يشاء على جثته .

أبعد ذراعيها عن عنقه في خشونة ، وهو يقول في عصبيَّة :

ـــ هناك فارق كبير في أعماقي أنا يا (سونيا) .. فارق يُدْعَى الانتصار .

خشيت أن يتسبَّب عناده في إفساد كل ما خطَّطته ، ودبَّرته ، للإيقاع بـ (أدهم) هذه المرَّة ، فقالت في رِفْق :

ـــ لقد انتصرت بالفعل يا (أوكونور) .. ألم تفسد خطَّة المخابرات الأمريكية ، وتعلن لهم كشفك لأمرهم ؟.. ألا يُعَدُّ هذا انتصارًا في رأيك ؟

غمغم في غلظة :

ـــ كلا ..

ثم التقط سمَّاعة هاتفه ، قبل أن تضيف هي حرفًا واحدًا ، وطلب رقم حجرة أخرى ، في نفس الفندق ، وانتظر حتى سمع صوت محدِّثه ، فقال في حِدَّة :

ـــ اسمع يا (دوايت) .. اترك خمسة رجال لحماية جناحي ، وخذ الباقين معك ، وابحثوا عن ذلك الشيطان المصريّ في كل مكان ، واقتلوه حيثما وجدتموه .

وضرب سطح المائدة بقبضته في قوَّة ، وهو يستطرد في ثورة :

ـــ اقتلوه يا (دوايت) .

أجابه (دوايت) في حماس :

ـــ سنفعل أيها الزعيم .

وهكذا انطلق الجميع في أعقاب (أدهم صبري) ..

* * *

ألقى (أدهم) جسده على فراش الملازم (بروان) ، وترك عضلاته تسترخي ، بعد يومين متواصلين من الصراع بلا توقُّف ، وأسبل جفنيه في إرهاق ، وهو ينشد قليلًا من النوم ، يعيد إليه نشاطه ، وينتزع من جسده كل ما يملؤه من تعب ..

ولقد غلبه النوم بالفعل ، أو استسلم له هو ، حتى تنبَّهت غريزته القتالية بغتة ، فهبَّت وتحفَّزت ، ونفضت النوم عن عينيه فجأة ، وجعلته يقفز جالسًا على طرف فراشه ، وقد انعقد حاجباه ، وتحوَّلت أذناه إلى جهاز لاقط صوتيّ دقيق ..

كان ما نبَّه غريزته عبارة عن صوت خافت ، لإبرة مسدَّس تعدُّ لدفع رصاصة في ماسورته ، تمهيدًا لاستخدامه ، وكان ذلك الصوت يأتي من خارج الحجرة ..

وفجأة ، اقتحم الحجرة ثلاثة رجال ، يحملون مسدسات مزوّدة بكواتم للصوت ..

نفس الرجال الثلاثة ، الذين أطلقوا النار على الملازم (براون) ..

وقبل أن تنطلق رصاصاتهم ، وقبل حتى أن يصوّبوا فوّهات مسدساتهم نحو الهدف ، بدأ الهدف تحرّكه في سرعة مذهلة ، فالتقط (أدهم) مسدسه من أسفل وسادة الفراش ، وأطلق منه ثلاث رصاصات مُدوّية ، أصابت أهدافها في إحكام مثير ، فتراجع الرجال الثلاثة في ذُعر وذُهول ، بعد أن فقدوا مسدساتهم في جزء من الثانية ، وقفز (أدهم) نحوهم ، وقد تحوّل بغتة إلى كتلة من النشاط والقوّة والسّرعة ..

وتلقى الرجل الأوّل لكمة ساحقة في فكّه ، وتحطّم أنف الثاني ، إثر قنبلة بشريّة ، انفجرت في أرنبة أنفه ، وانثنى الثالث وهو يشهق في ألم ، حينما غاصت ركلة قويّة في معدته ، ثم عاد يعتدل ، ويقفز إلى الخلف ، ثم يَهْوِي على ظهره فاقد الوعي ، إثر أخرى في فكّه ..

وفي سرعة ألقى (أدهم) مسدسه ، والتقط مسدسَيْن مزوّدَيْن بكاتمَيْ صوْت ، وانطلق يغادر منزل (براون) ، وهو يتساءل : هل وَشَى به ذلك الأخير ، وخانه ؟..



فالتقط (أدهم) مسدسه من أسفل وسادة الفراش ، وأطلق منه ثلاث رصاصات مُدوّية ، أصابت أهدافها في إحكام ..

كان يتحرّك ويفكّر فى آن واحد ، وبسرعة فائقة ، إذ أن هذا الخاطر الأخير أثار فى أعماقه مخاوف مُفزعة ، فلو أن (براون) قد خانه بالفعل ، فهذا يعنى أنه لم يذهب بـ (منى) و (أحمد) إلى المطار ، كما طلب منه (أدهم) ، وأنهما الآن فى خطر بالغ ..

وقفز (أدهم) داخل أوّل سيّارة مفتوحة ، وجدها أمام منزل (براون) ، واستنتج من وجود مفاتيحها داخلها أنها تخصّ الرجال الثلاثة ، الذين هاجموه منذ لحظات ، فأدار محرّكها فى سرعة ، وانطلق بها نحو مطار (نيويورك) ..

وطوال الطريق راح عقله يدرس عشرات الاحتمالات والمخاطر ، ويعدّ العُدّة لمواجهتها ومجابهتها ، حتى توقّف أمام المطار ، وقفز من السيّارة ، واندفع نحو مكتب الاستعلامات ، يسأل موظفته فى حِدّة :

ـــ ألديك قائمة بأسماء المسافرين ، الذين أقلعت بهم طائرة (القاهرة) الأخيرة ؟

تطلّعت إليه الموظفة فى دهشة ، وهى تجيب :

ـــ بالطبع .. لماذا تريدها ؟

أجابها فى خشونة :

ـــ ليس هذا من شأنك .

تراجعت الموظفة فى دهشة ، والتقطت القائمة ، وألقتها إليه فى ذُعر ، فتناولها فى لهفة ، وراجعها فى سرعة ، حتى توقّف عند اسمى (أحمد) و (منى) ، تنهّد فى ارتياح ، وأعاد القائمة إلى الموظفة ، وهو يتساءل فى حَيْرة :

ـــ ماذا تعنى محاولة قتله فى منزل (براون) إذن ؟

عاد إلى السيّارة فى هدوء ، وهذا السؤال يملأ رأسه فى شدّة ، وانطلق إلى قسم الشّرطة الذى يتبعه (براون) ، وسأل (النوبتجى) فيه عن هذا الأخير ، فأجابه فى أسف :

ـــ ألم تعلم يا رجل ؟.. لقد أطلق عليه بعضهم النار .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يسأله فى قلق وجزع :

ـــ هل قتلوه ؟

أجابه الشّرطى ، وهو يهزّ رأسه أسفًا :

ـــ كان هذا ما يريدونه ، ولكن يبدو أن (براون) يتمتع برأس صلبة ، وحظّ وفير ، إذ انحرفت الرصاصة ، بعد إصابتها جمجمته ، واكتفت بشقّ عرضىّ فيها ، دون أن تنفذ إلى مُخّه ، ولكن قاتليه لم ينتبهوا إلى ذلك ، وتصوّروا أنهم قد قتلوه ، فقد تركوه مُلقى أرضًا ، لولا أن كشفت دوريّة شرطة وجوده ،

فنقله على وجه السرعة إلى مستشفى (نيويورك) المركزى ،
و .....

قبل أن يتمّ عبارته ، كان (أدهم) قد اندفع خارج القسم ، وقفز داخل السيّارة ، وانطلق بها نحو المستشفى ، وهو يغمغم فى صرامة :

— واصديقى العزيز !! لقد أراد لك هؤلاء الأوغاد الموت ، ولكن إرادة الله (سبحانه وتعالى) كانت فوق إرادتهم .. لقد بقيت لتشهد تحطمُّهم ، وانهيار إمبراطورية طغيانهم .

واصل انطلاقه بالسيّارة ، حتى بلغ المستشفى ، فاندفع إلى حجرة (براون) ، بعد أن أخبرته بها ممرضة الاستقبال ، ولم يكد يلج تلك الحجرة ، حتى توقّف فى أسى ، وهو يتطلّع إلى الشرطىّ الذى رقد على فراشه ، مُغمض العينين ، تحيط برأسه الضّمادات ، واقترب منه فى بطء ، وتحسّس أربطته ، وهو يغمغم فى إشفاق :

— واصديقى العزيز !!

فتح (براون) عينيه فى بطء ، وتألّقت السعادة فى عينيه ، وهو يهتف فى وَهَن :

— (أدهم) ؟!.. حمدًا لله .. لقد تصوّرت أنهم ......

قاطعه (أدهم) فى تعاطف :

— لقد حطّمت أنوفهم يا صديقى ، لا تقلق نفسك بشأنهم .

هتف (براون) فى حَيْرة :

— ولكن لماذا ؟.. لماذا أرادوا التخلّص منك ؟..

ابتسم (أدهم) ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :

— أنت تعرف ذلك الطاغية (أوكونور) ورجاله يا صديقى .. لن يهدأ لهم بال حتى .....

قاطعه (براون) فى انفعال :

— ولكنهم ليسوا رجال (أوكونور) يا صديقى .. إنهم رجال السلطة .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يسأله فى دهشة :

— رجال السلطة ؟!.. ماذا تعنى يا رجل ؟

تهالك (براون) ، وهو يقول فى مرارة :

— ألم تكن تدرك ذلك يا صديقى ؟.. إنهم رجالنا .. رجال المخابرات المركزية الأمريكية .

اتسعت عينا (أدهم) فى دهشة واستنكار ، وهو يهتف :

— المخابرات الأمريكية ؟!.. ولكن هذا مستحيل يا صديقى .. إننى أعمل لحسابهم ، و .....

قاطعه صوت صارم من خلفه ، يقول :

— لم تعد كذلك أيها المصرىّ .. لقد انتهت مهمّتك .

والتقطت أذنا (أدهم) صوتَ خزانة مسدس من نوع (الكولت) ، يُعَدُّ للإنطلاق على ظهره مباشرةً ..

* * *





٣ — مَصْرَع بطل ..

التفت الدكتور (أحمد صبرى) إلى (منى) ، التى لزمت الصمت ، طوال رحلة الطائرة ، وسألها فى خفوت :

— لِمَ لا تنفضين عنك تلك المرارة يا (منى) ؟. إن (أدهم) يعرف كيف يَرْعى نفسه جيّدًا ، ولا ينبغى أن تقلَقى بشأنه إلى هذا الحدّ .

أشاحت بوجهها ، وهى تغمغم فى ألم :

— أعلم ذلك ، ولكننى لا أستطيع أن أمنع نفسى من القلَق عليه .

سألها فى إشفاق :

— إنك تحبّينه .. أليس كذلك ؟

سالت الدموع من عينيها ، وهى تومئ برأسها إيجابًا فى صمت ، فسألها فى حَيْرة :

— لماذا ترفضين الزواج منه إذن ؟

تركت لدموعها العنان ، وهى تسأله :

— هل أخبرك هو بذلك ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى خفوت :

— كلا .. إنك تعرفين (أدهم) مثلما أعرفه .. إنه يحتفظ لنفسه دوْمًا بمشاكله ومتاعبه الشخصية ، ويكتمها في أعماقه ، ولا يصرِّح بها أبدًا .

غمغمت في حيْرة :

— كيف علمت إذن أنني رفضت الزواج منه ؟

ابتسم في تعاطف ، وهو يقول :

— إنني أعرف شقيقي ، وأفهمه جيِّدًا ، وهو يحبُّك من أعمق أعماق قلبه ، وطبيعته المباشرة تحتِّم أن يتخذ الأسلوب الشرعيَّ الأمثل تجاه هذا الحبّ ، وهذا يَعْني أن يطلب منك الزواج منه ، ولا ريب أنه قد فعل ، والتبرير الوحيد لعدم إتمام الزواج ، على الرغم من ذلك ، هو أنك أنت رفضت الزواج منه ، وهذا يدهشني في الواقع ، مادمت تحبِّينه إلى هذا الحدّ .

انهمرت دموعها في غزارة ، وهي تقول في حُزْن :

— إنني لم أتمنَّ شيئًا في حياتي ، مثلما تمنَّيت الزواج من (أدهم) ، ولكنْ حبِّي له يمنعني من ذلك .

هتف في دهشة :

— لماذا ؟.. الزواج هو التكليل الطبيعيّ للحبّ !!.

هتفت في مرارة :

— ولكنني لست الزوجة التي يستحقُّها (أدهم صبري) .

غمغم في حيْرة :

— لماذا ؟.. إنه يحبُّك ، وأنت تحبِّينه .

أجابته في مرارة :

— هل نسيت أنك قد أجريت لي منذ لحظات جراحة عاجلة ، لإنقاذ ذراعي من شلل دائم ؟.. إنها ليست الجراحة التقويمية الوحيدة التي أجريتها ، منذ بَدأ عملي في المخابرات المصرية يا دكتور (أحمد) .. لقد تحوّل جسدي إلى حقل لعشرات الجراحات ، سواء لاستخراج رصاصات ، أو تقويم جروح وكسور ، وكل ذلك ترك في جسدي ندبات مخيفة ، أشفق على (أدهم) من الزواج من فتاة بها كلُّ هذه الجراحات .

ربَّت على كفِّها في إشفاق ، وهو يغمغم :

— صدِّقيني ، هذا لن يَعْني (أدهم) كثيرًا .

أشاحت بوجهها ، وهي تجيبه في ألم :

— ولكنه يَعْنيني أنا .

قاوم دمعة أصرَّت على الانفلات من عينيه ، والانحدار على وجنتيه ، وهو يغمغم :

— لو أن كلا منكما يهوى الآخر ، كما يبدو واضحًا ، فتلك ال.....

قاطعته في حِدّة :

— كفى يا دكتور (أحمد) .. لست أنوى الاستطراد في مناقشة هذا الأمر .

وتطلّعت عبر نافذة الطائرة إلى السماء ، وهي تستطرد :

— المهمّ الآن أن يعودَ (أدهم) .. سالمًا .

* * *

استدار (أدهم) في بطء ، يواجه رجال المخابرات الأمريكية الخمسة ، الذين يصوّبون إليه مسدساتهم المزوّدة بكواتم الصوت ، بعد أن أغلقوا الحجرة خلفهم في إحكام ، وتركّزت عيناه على وجه أحدهم ، وهو يقول في صرامة مخيفة :

— إذن فهكذا يكافئ (توماس ألبى) من يعملون لحسابه !.. هل سمعت عن جزاء (سنمار) يا (بيوت) ؟

أجابه (بيوت) ، المساعد الأوّل لمدير المخابرات الأمريكية ، في خشونة :

— أنت أفسدت المهمّة ، وكشفتها أيها المصرىّ ، وأصبح وجودك يهدّد دولتنا كلها بالخطر .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— والحلُّ الأمثل هو التخلّص منّى ، قبل أن يغضب (أوكونور) .. أليس كذلك ؟

مطّ (بيوت) شفتيه ، وهو يقول في صرامة :

— أنت تتسبّبُ في وصول الأمور إلى ذلك ، أنت الذى ......

لم يعلم أحد أبدًا ما كان ينوى أن يقول (بيوت) ، فقد قاطعته صيحة (براون) ، وهو يلقى نحوه زجاجة من زجاجات الدواء ، صائحًا في غضب :

— أيها الخَوَنة الحُقَراء ..

أمال (بيوت) رأسه جانبًا ، متفاديًا الزجاجة ، واستدار أحد رجاله يطلق النار على (براون) ، وساد الارتباك جزءًا من الثانية ..

وفي هذا الجزء من الثانية ، قلبَ (أدهم) الموقف كله رأسًا على عقب ..

لقد قفز بغتة نحو رجال المخابرات الأربعة ، وركل مسدس أولهم في قوّة ، وهو يغوص بقبضته في معدة الثانى ، ثم دار على عقبيه ، وركل أنف الثالث في قوّة ، ولكَمَ (بيوت) على مؤخرة

عنقه ، فأسقطه على وجهه فاقد الوعى ، ثم التفت إلى الأوّل ، فكال له لكمة كالقنبلة ، ودفعه إلى الوراء ، ليرتطم بالحائط فى عنف ، وهوى على عنق الثالث بحافة راحته ، وهشّم أسنان الثانى بلكمة ساحقة ..

وتكوّم رجال المخابرات الأمريكية أرضًا ، دون أن يدرك أحدهم أماجهم (أدهم) ، أم انقضّت صاعقة من السماء على رءوسهم ، على حين أسرع (أدهم) نحو (براون) ، الذى أصابته الرصاصة فى صدره ، وهو يهتف فى جزع :

ـــ يا إلهى !!.. لقد أصابوك يا صديقى .. سأستدعى الطبيب .....

قاطعه (براون) بابتسامة شاحبة ، خالية من الحياة :

ـــ لا فائدة يا صديقى .. إنها نهايتى هذه المرّة .. أنا أعلم ذلك .

هتف (أدهم)

ـــ هذا سابق لأوانه .. سأرسل أولًا فى طلب الـ .....

عاد يقاطعه فى إصرار :

ـــ دعْ هذا يا صديقى ، واسمعنى أوّلًا .. إننى لم أخنك .

غمغم (أدهم) فى إشفاق :

ـــ أعلم ذلك يا صديقى .. أعلم ذلك .

تشبّث (براون) بذراعه ، وهو يقول فى انفعال :

ـــ عِدْنى إذن أن تنتقم منهم .. أن تنتقم من الجميع .

أجابه (أدهم) فى حزم وصرامة :

ـــ أعِدُكَ يا صديقى .

ارتسمت ابتسامة ارتياح على شفتى (براون) ، ثم تراخت أطرافه ، وتحجّرت عيناه ، ولفظ أنفاسه الأخيرة ..

وفى رفق ومرارة ، أرقده (أدهم) على فراشه ، وأسبل جفنيه ، ثم اعتدل والغضب يملأ كل خليّة من خلاياه ، وهو يقول فى حزم وصرامة مخيفين :

ـــ أعِدُكَ بأن أنتقم من الجميع يا صديقى .

وأردف فى لهجة تجمّد الدم فى العروق :

ـــ من الجميع .. من أجلك أيها البطل .

* * *

« هاهو ذا » ..

أشار أحد رجال (المافيا) إلى (أدهم) ، وهو يغادر المستشفى ، ويتّجه إلى سيّارته ، فالتقت عينا (بيمبولينى) فى ظفر ، وهو يقول فى برود :



تشبَّث (براون) بذراعه ، وهو يقول فى انفعال :
— عليك إذن أن تنتقم منهم .. أن تنتقم من الجميع ..

— استعدُّوا للتخلُّص منه إذن .

لم يكد (أدهم) ينطلق بسيَّارته ، حتى انطلقت سيَّارة رجال (المافيا) خلفه ، و (بمبولينى) يرتدى قفَّازيه السَّوداوَيْن ، قائلًا فى هدوء :

— تذكَّروا أنه من الضرورى أن يبدو الأمر كحادث سير .. سنقترب منه فى هدوء ، ثم ينقضُّ (مارياتى) بغتة على سيَّارته ، ويحطِّم الباب المجاور له ، ويحصره بين المقعد وعجلة القيادة .

غمغم (مارياتى) فى توتُّر :

— الأمر لا يبدو لى بمثل تلك البساطة ، التى تتحدَّث بها يا (بمبولينى) ، فلقد عاصرت صدام زعيمنا الراحل دون (ريكاردو) مع ذلك الشيطان(*) ، ومازال جسدى يرتجف ، كلما استعدْتُ ذِكْرَيات ذلك الصراع .

قلَب (بمبولينى) شفتيه فى ازدراء ، وهو يغمغم :

— لم أكن أتصوَّرك رعديدًا إلى هذا الحدِّ يا (مارياتى) .. إنها ليست أوَّل مرَّة نتخلَّص فيها من أحد خصومنا على هذا النحو .

عقد (مارياتى) حاجبيه فى حنق ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (قناع الخطر) ... المغامرة رقم (٣) .

— هذا الرجل يختلف يا (يمبوليني) ..

ابتسم (يمبوليني) في سخرية ، وهو يقول :

— بالتأكيد ، فهو لا يزال حيًا ؛ على حين ذهب الآخرون إلى الجحيم .

ثم أشار إلى سيارة (أدهم) ، مستطردًا في صرامة :

— استعِد .. سننفذ الخطة عند المنعطف القادم ، و .....

قبل أن يتمّ عبارته ، انحرف (أدهم) بسيارته بغتة في منعطف جانبيّ ضيّق ، فهتف (ماريانى) في جزع :

— لقد كشف تتبُّعنا له .. أُقسم إنه قد فعل .

أجابه (يمبوليني) في توتّر :

— إلحق به .. لن ندعه يُفلت .

هتف (ماريانى) ، وهو يزيد من سرعة سيارته :

— سأفعل ، ولكنّ الأمر لن يبدوَ كحادث عرضيّ هكذا .

صاح (يمبوليني) في حنق ، وقد تخلّى عن برودِه التقليديّ :

— فليذهب كل شيء إلى الجحيم .. المهمُّ أن نتخلص من هذا الرجل .

انحرف (ماريانى) بالسيارة خلف (أدهم) ، ثم ضغط كمّاحة سيارته في قوّة ، حينما رأى سيارة (أدهم) متوقّفة على جانب الطريق ، وخالية ، وغمغم في توتّر :

— هل رأيت ؟.. لقد كشف مطاردتنا له ، وغادر السيارة .

قفز (يمبوليني) خارج سيارته ، وهو يستلُّ مسدسه ، قائلاً في حنق :

— إنه لم يبتعد كثيرًا بالتأكيد ، وسنظفر به حتمًا .

لحق به الرجال الثلاثة ، الذين كانوا يجلسون صامتين في المقعد الخلفيّ ، وشهر كل منهم مدفعه الآليّ القصير ، وهم يدورون بأعينهم في الشارع الساكن ، بحثًا عن الرجل المراد التخلّص منه ، على حين قال (يمبوليني) في شراسة :

— فليقتله أوّل من يراه منكم ، دون أن ينتظر الأوامر ، أو يتردّد لحظة واحدة .

لم يكن في حاجة إلى إلقاء هذا الأمر ، فقد كان هذا هو هدف الجميع ، ولكن بعد أن يجدوا خصمهم ..

وفجأة ، سقطت السماء على رءوسهم ، وانقضّت عليهم صاعقة بشريّة رهيبة ، تحمل اسم (أدهم صبري) ، ولقب (رجل المستحيل) ..

برز فجأة من مدخل بناية صغيرة ، واندفع نحوهم كإعصار مُدمّر ، وقبل أن تتضح لهم الأمور ، أو تضغط أصابعهم على أزندة مسدساتهم ، وكانت قبضته تطيح بأولهم ، والأخرى تكسر أنف الثاني ، وقدمه تركل معدة الثالث ..

وأصيب (يمبوليني) بالرُّعب والفزع ، أمام ذلك المشهد المخيف ، وتحوّل رُعبه وفزعه إلى صرخة قوية ، وهو يهتف :

ـ سأقتلك أيها الشيطان المصريّ .. سأقتلك ولو كان هذا آخر ما أفعله في حياتي ..

وأطلق النار نحو (أدهم) ..

* * *



٤ ـ كلُّ القُوَى ..

اختلط دويّ رصاصة (يمبوليني) بصرخة قتالية مخيفة ، انطلقت من حنجرة (أدهم) ، وهو يميل جانبًا ، متفاديًا الرصاصة ، ثم يقفز في الهواء ، ويركل (يمبوليني) بيمناه في معدته ، ثم بيُسراه في صدره ، قبل أن يدور على عقبيه ، ويركله في وجهه ركلة قويّة ، ثم يقفز ضامًّا ركبتيه إلى صدره ، ويفردهما في آن واحد ، ليرتطما بجانبي عنق (يمبوليني) ، الذي أطلق حشرجة مؤلمة ، ثم هوى فاقد الوعي ..

وفي هدوء ، اتجه (أدهم) نحو سيارة (المافيا) ، التي جلس داخلها (ماريانى) ، يرتعد على نحو واضح ، وقد تشنجت قبضتاه على عجلة القيادة ، وجحظت عيناه في رُعب هائل ، واصطكّت أسنانه في قوّة ، حينما استلّ (أدهم) مسدسه المزوّد بكاتم للصوت ، وألصقه بصُدغه ، قائلًا في سخرية :

ـ عجبًا !!.. ما زال لدينا أحدهم هنا .

ارتجف صوت (ماريانى) ، على نحو يدعو للإشفاق ، وهو يقول في ضراعة :

— لا تقتلنى يا سنيور (أدهم) .. أرجوك .. سأفعل كل ما تطلبه .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— سنيور (أدهم) ؟!.. عجبًا !!.. لم أكن أظن أن ذلك الوغد (أوكونور) يضم إيطاليين إلى فريقه .

تدلَّت فك (ماريانى) السُّفلى فى بلاهة ، وهو يغمغم :

— (أوكونور) ؟!.. من هو (أوكونور) هذا يا سنيور (أدهم) ؟

ازداد انعقاد حاجبى (أدهم) فى حَيْرة ، ثم لم يلبث أن لكز صُدْغ (ماريانى) بفُوَّهة مسدسه ، وهو يسأله فى خشونة :

— لحساب مَنْ تعمل أيها الوغد ؟

زاغت نظرات (ماريانى) ، وخفق قلبه فى قوة ، وهو يقول فى توسُّل :

— الرحمة يا سنيور (أدهم) !! أنت تعلم أنه لا يمكننى أن أخبرك .. سيقتلوننى لو فعلت .

قال (أدهم) فى صرامة :

— لك الخيار إذن ، فإمَّا أن تخبرنى ، وتخاطر باحتمال فشلهم فى أن يعلموا أنك قد فعلت ، أو أضمن لك موتًا فوريًّا .

وقرن تهديده بجذب إبرة مسدسه ، وكأنه يهمّ بإطلاقه على صُدْغ (ماريانى) ، الذى هتف فى رُعْب :

— سأخبرك يا سنيور (أدهم) .. سأخبرك .

وانهارت رأسه فى مرارة ، وهو يستطرد :

— إننى أعمل لحساب دون (كورليونى) .

عقد (أدهم) حاجبيه فى دهشة ، وهو يغمغم :

— (كورليونى) ؟!.. زعيم (المافيا) ؟.

واستطرد موجهًا حديثه إلى (ماريانى) فى صرامة :

— ولكن لماذا ؟.. ألم تُصْدِرْ دونا (كارولينا) أوامرها بإيقاف القتال معى ؟

أومأ (ماريانى) برأسه إيجابًا فى رُعْب ، وهو يقول :

— هذا صحيح ، ولكن تلك الشقراء الفاتنة زارت الزعيم ، ثم ......

قاطعه (أدهم) ، وهو يغمغم :

— شقراء فاتنة ؟!.. مهلًا أيها الوغد .. إن الحديث بيننا سيطول .. إننى أصرُّ على معرفة كل التفاصيل .. هل تفهمنى ؟.. كل التفاصيل .

* * *

استمع (أدهم) إلى الحديث ، المتدفِّق من بين شفتى (ماريانى) ، فى اهتمام ، وعقله يدور حول فكرة واحدة ..

لقد كشفت له أحداث الساعات القليلة الماضية أنه هدف لكلّ القوَى ..

صقور أوكونور ..

المافيا ..

وحتى المخابرات المركزية الأمريكية ..

وهذا يَعْني أنه سيقاتل نصف سكان الولايات المتحدة الأمريكية ، وسيواصل القتال والفِرار إلى الأبد ..

إلّا إذا ..

مبدأ واحد سيطر على عقله فى تلك اللحظة ..

مبدأ أرساه القائد الفرنسيّ (نابليون بونابرت) قديمًا ..

مبدأ يقول : « الهجوم هو خير وسيلة للدفاع » ..

نعم ..

إنه لن يهزم كل تلك القُوَى ، ما لم يبادرهم هو بالهجوم ..

عليه أن يلتهمهم قبل أن يلتهموه ..

يجزّ أعناقهم ، قبل أن يبتروا أطرافه ..

ارتاح لهذه الفكرة ، فانتظر حتى انتهى (ماريانى) من روايته ، ثم قال فى برود :

ـــ حسنًا أيها الوغد .. لقد أفدتنى فوق ما تتصوّر .

ثم هوَى فجأة على فكّ (ماريانى) بلكمة قويّة ، أسقطت الرجل فوق عجلة قيادة السيّارة فاقد الوعي ، وأعاد مسدّسه إلى جيبه فى هدوء ، وهو يغمغم :

ـــ أتمنّى أن أجد بعض المتاجر مفتوحة ، فما أحتاج إليه بالغ الأهميّة .

وابتسم فى سخرية ، وهو يستطرد :

ـــ إنه سلاحى الوحيد ، فى مواجهة كلّ قُوَى الشرّ .

* * *

استعاد (بيمبوليني) وعيَه فى بطء ، وشعر بصُداع شديد يكتنف رأسه ، وبدُوار عنيف يَعْتريه ، فنهض فى تخاذُل ، وتطلّع إلى ما حوله فى ذُعْر ودَهْشة ..

كان المكان أشبه بساحة حَرْب ، بعد هزيمة ساحقة ..

رجاله الثلاثة يتوسّدون أرض الشارع ، فى غيبوبة تامّة ، و (ماريانى) فاقد الوعي فوق عجلة القيادة ..

كان المشهد يبدو وكأنّما رجال (المافيا) قد تعرّضوا لهجوم مُباغِت ، من كتيبة كاملة مسلّحة ، وهم عُزْل من السلاح ، حتى أن (بيمبوليني) شعر بحنق بالغ ، وهو يسرع نحو (ماريانى) ، ويدفعه فى قوّة ، هاتفًا :



رفع (ماريانى) رأسه عن عجلة القيادة فى وَهْن ، وبدت عينه اليُسْرَى متورِّمة ، تحيط بها كَدْمَة زرقاء كبيرة ..

ــ استيقظْ يا (ماريانى) .. أخبرنى أين ذهب ذلك الشيطان المصرى .

رفع (ماريانى) رأسه عن عجلة القيادة فى وَهْن ، وبدت عينه اليُسْرَى متورِّمة ، تحيط بها كَدْمَة زرقاء كبيرة ، وهو يغمغم فى ارتياع :

ــ أين أنا ؟.. ماذا حدث ؟

هتف به (بيمبولينى) فى سُخْط :

ــ أين ذهب ذلك الشيطان المصرىّ ؟.. لقد كنت آخر من بقىَ واعيًا ، بعد أن .....

أحنقه تذكُّر الموقف ، فبتر عبارته ، وهو يستطرد فى حِدَّة :

ــ أين ذهب ؟

أجابه (ماريانى) فى ارتياع :

ــ لستُ أدرى .. لقد هاجمنى بغتة ، بعد أن أفقدك الوَعْىَ ، ولكمنى فى قوّة ، و .....

قاطعه (بيمبولينى) فى حَنَق :

ــ أيها الغبىّ .

هتف (ماريانى) فى غضب :

ــ لا تنسَ أنه قد هزمك أوّلًا .

لوّح (يمبولينى) بكفّه فى سخط ، ثم تطلّع إلى ساعته ، ليقول فى غضب :

— أيّة قبضة تلك التى يملكها ذلك الشيطان ؟!.. لقد غبنا عن الوعى قرابة الساعتين .

عقد (ماريانى) حاجبيه ، وهو يقول فى خشونة :

— دعْنا من هذا .. المهمّ ماذا سنقول للزعيم ؟

مطّ (يمبولينى) شفتيه ، وهو يغمغم فى سخط :

— لست أدرى !. لقد أضعنا فرصة ذهبية ، للقضاء على ذلك الشيطان المصرىّ ، ولست أدرى ماذا أقول للزعيم .. حقيقة لست أدرى !

* * *

« فقدتموه ؟!.. » ..

صرخ دون (كيرليونى) بتلك العبارة فى سُخط هائل ، وهو يلوّح بكفّيه فى وجهى (يمبولينى) و (ماريانى) ، مستطردًا فى غضب :

— أين مهارتكم وقوتكم إذن ؟.. كيف يهزمكم رجل واحد ؟

ظلّ (ماريانى) صامتًا ، على حين غمغم (يمبولينى) فى حنق :

— إنه ليس رجلًا عاديًا يا دون .. لقد ......

قاطعه دون (كيرليونى) فى هياج :

— لا مبرّرات .. أنتما تعلمان قاعدة العمل فى منظمتنا .. النجاح أو الموت .

غمغم (يمبولينى) فى ضيق :

— إننا لم نعلن فشلنا بعدُ يا دون .

صاح به دون (كيرليونى) فى سخط :

— لم تعلنا ماذا ؟.. ماذا تسمّى ما حدث إذن ؟.. هل ......؟

قاطعه رنين متّصل لهاتفه الخاصّ ، فاختطف سمّاعته ، ووضعها على أذنه ، قائلًا فى عصبيّة :

— هنا دون (كيرليونى) مَن المتحدّث ؟

انعقد حاجباه فى حنق ، وهو يستطرد :

— كلّا يا (سونيا) .. إننا لم نعثر عليه بعد .. نعم .. سنجده بالتأكيد .. لا بأس .. سأنتظرك فى مكتبى بعد ساعتين .

ووضع السمّاعة فى سخط ، وهو يغمغم :

— من تظن تلك المتغطرسة نفسها ؟

جلس خلف مكتبه فى حركة حادّة ، وأشار إلى (ماريانى) ، قائلًا فى انفعال :

— انتظر خارجًا .. هناك ما أودُّ أن أتحدَّث فيه مع (يمبوليني) وحده .

غادر (ماريانى) المكان في هدوء ، وأغلق الباب خلفه ، فالتفت (كيرليونى) إلى (يمبوليني) ، وهو يقول في جدّة :

— اسمع يا (يمبوليني) .. سأمهلك يومًا واحدًا للعثور على ذلك المصرىّ ، وقتله ، وإحضار جثته إلى هنا .

قلّب (يمبوليني) كفّيه في حَيْرة ، وهو يقول :

— كيف يا دون ؟.. إننا لا نعلم أين هو ؟ ولا كيف يمكننا الوصول إليه ؟

هتف دون (كيرليونى) في عصبيّة :

— جنّد كل من تحتاج إليه من رجال يا (يمبوليني) ، وخذ كلّ ما تريد من نفقات ، و .....

تردّد لحظة ، ثم أردف في حزم :

— وسأمنحك نصف مليون دولار دفعة واحدة ، لو أنك نجحت في التخلّص منه ، خلال أربع وعشرين ساعة فقط .

تألّقت عينا (يمبوليني) في انبهار ، وافترّ ثغره عن ابتسامة مقيتة ، وهو يغمغم :

— في هذه الحالة الأمر يختلف أيها الزعيم .. سأنبش كل شبر في (نيويورك) ، حتى .....

قبل أن يتمّ عبارته ، انبعث من جهاز الاتصال الداخلىّ ، المثبّت فوق مكتب دون (كيرليونى) صوت ساخر ، يقول :

— دون (كيرليونى) .

تبادل (كيرليونى) و (يمبوليني) نظرة دهشة ، قبل أن يضغط الأوّل زرّ جهاز الاتصال ، قائلًا في خشونة :

— إنه أنا .. من المتحدّث ؟

ازدادت رنّة السُّخرية في صوت المتحدّث ، وهو يقول في هدوء :

— إنه أنا أيها الوغد .. (أدهم صبرى) .. ولقد جئت إليك لأقتلك .

* * *



٥ ـــ الأوَّل ..

اندفع (بيمبوليني) خارج حجرة مكتب دون (كيرليونى) ، وهو يَشْهَرُ مسدسه ، فالتفت إليه (ماريانى) فى دهشة ، وهو يهتف فى جزع :

ــ ماذا هناك ؟.. ماذا حدث ؟

تلفَّت (بيمبوليني) حوله فى عصبيَّة ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ أين ذلك الشيطان ؟

تراجع (ماريانى) فى ذُعْر ، وهو يهتف :

ــ أىّ شيطان ؟

لم يُجبه (بيمبوليني) ، وإنما أدار عينيه إلى جهاز الاتصال ، المثبت إلى جوار باب مكتب دون (كيرليونى) ، وهو يسأل (ماريانى) فى حِدَّة :

ــ من تحدَّث عَبْرَ ذلك الجهازِ الآن ؟

أجابه (ماريانى) فى دهشة :

ــ لا أحد .. إننى أقف هنا منذ خروجى ، و .....

قاطعه دون (كيرليونى) فى حِدَّة :

ــ ماذا تقصد بـ (لا أحد) ؟.. لقد سمعت أنا و (بيمبوليني) صوت ذلك الشيطان !

قلَّب (ماريانى) كفَّيه فى حَيْرة ، وهو يشير إلى الممرّ المؤدِّى إلى الطابق الأوَّل من قصر دون (كيرليونى) ، مغمغمًا :

ــ ربَّما تحدَّث من جهاز آخر يا دون ، فهذه الأجهزة تملأ القصر ، و .....

لم ينتظر دون (كيرليونى) ، حتى يستمع إلى باقى عبارته ، وإنما هتف فى غضب :

ــ فتِّشوا القصر ركنًا ركنًا يا (بيمبوليني) .. أريد منكم أن تعثروا على ذلك الشيطان بأقصى سرعة .

انطلق (بيمبوليني) لتنفيذ الأمر ، على حين تردَّد (ماريانى) لحظة ، ثم التفت إلى دون (كيرليونى) ، قائلاً :

ــ دون .. هل تسمح لى بالتحدُّث معك لحظات ؟

صاح به (كيرليونى) فى غضب :

ــ ماذا لديك بحقِّ الشيطان ؟

تردَّد (ماريانى) لحظة أخرى ، ثم قال فى حسم :

ــ الكثير يا دون .

واعتدل وهو يستطرد فى حزم :

ــ إننى أعلم أين (أدهم صبرى) ، وكيف تحدَّث إليك الآن .

* * *

عقدت (سونيا جراهام) حاجبيها في دهشة وتساؤل ، وهي تتطلع إلى ذلك التوتر الواضح في عيون رجال دون (كيرليوني) ، الذين فحصوا سيارتها جيدًا ، قبل أن يسمحوا لها بالدخول ، وتضاعفت دهشتها إزاء تلك الحراسة المكثفة ، التي أحاط بها دون (كيرليوني) مكتبه ، حتى أنها لم تكد تدخل إليه حتى هتفت في عصبيّة :

— ماذا هناك يا دون ؟.. إنك تبدو كأنك تحصّن نفسك ضد ملك الموت .

أجابها وهو يجلس في منطقة خافتة الإضاءة ، على خلاف عادته :

— إن ذلك الشيطان المصريّ هنا يا (سونيا) .

اتسعت عيناها في دهشة ، وهي تهتف في ذُعر :

— هنا ؟!

أومأ برأسه ، وهو يقول في خشونة :

— نعم يا (سونيا) .. لست أدري كيف دخل إلى القصر ؟ ولا أين هو الآن ؟ ولكنه تحدّث إليّ عَبْر جهاز الاتصال الداخليّ .

عقدت (سونيا) حاجبيها في توتر ، وهي تردّد :

— عَبْر جهاز الاتصال الداخليّ ؟!

ثم سألته بغتة في عصبيّة :

— أصْدُقْني القَوْلَ يا دون .. هل التقى رجالك بـ (أدهم صبري) ، وأفقدهم وعيهم طويلًا ؟

عقد حاجبيه ، وهو يسألها في حِدّة :

— نعم .. كيف عرفتِ ؟

تألّقت عيناها في عصبيّة ، وهي تسأله في انفعال :

— هل عاد أحدهم مصابًا في وجهه ؟.. أو يبدو مختلفًا ؟

غمغم في دهشة :

— نعم .. أظن أن (ماريانى) كان كذلك .. ولكن كيف استنتجت هذا ؟

صاحت في حَنَق :

— إنني أكثر الناس فهمًا لـ (أدهم صبري) يا دون .. إنه عبقريّ في فنّ التنكّر ، حتى أنه لو تنكّر في شخصيتك ، فستعجز أمك نفسها عن التفرقة بينكما .. أراهنك أن (ماريانى) كان يقف إلى جوار جهاز الاتصال ، والبراءة تملأ وجهه .

غمغم في ارتياع :

— ياللشيطان !!.. هذا صحيح .. ولكن .. ولكنى أعرف صوت (ماريانى) جيدًا ، و .....

قاطعته فى عصبيّة بالغة :

— إن حنجرة (أدهم صبرى) مُذهِلة يادون .. إن هذا الشيطان يملك القُدرة على تقليد حتى صوت خرير الماء ، أو هزيم الرعد .. صدِّقنى يادون .. إنه يتقمّص الآن شخصية (ماريانى) .

هتف فى جزع :

— ياللشيطان !!

ثم ضغط زرَّ الاتصال ، مستطردًا فى توتُّر :

— فليبحث الجميع عن (ماريانى) .. أحضروه إلى مكتبى على الفور ، فى حراسة مشدَّدة .

انتقل صوته إلى كل رجل من رجاله ، فبدءُوا بحثهم عن (ماريانى) على الفور ، وما هى إلا بضع لحظات ، حتى أتاه صوت (بيمبولينى) ، عبْر جهاز الاتصال ، وهو يهتف فى دهشة :

— عجبًا يادون !!.. لقد بحثنا عن (ماريانى) فى كل ركن من أركان القصر ، ولكننا لم نعثر له على أدنى أثر .

هتفت (سونيا) فى انفعال :

— هل رأيت يادون ؟.. إنه يختفى فى مكان ما هنا .

صمت دون (كيرليونى) لحظات ، وهو يتأمّلها فى سُكُون ، ثم قال فى هدوء :

— سنعثر عليه يا (سونيا) .. المهم الآن هو كم ستدفعين ثمنًا له ؟

حدّقت فى وجهه بدهشة ، وهى تهتف :

— لقد أخبرتك من قبل يادون .. ستحصل على عشرة ملايين دولار .

سألها فى برود :

— كيف ؟

بدا لها سؤاله سخيفًا ، إلا أنها أجابت فى حَنَق :

— سأودعها حسابك الخاصّ فى (سويسرا) يادون .

ابتسم ، وهو يقول فى خبث :

— كيف ياعزيزتى (سونيا) ؟.. إنك تجهلين رقم حسابى السِّرّىّ فى (سويسرا) .

هتفت فى حَنَق :



والتسعت عيناها فى ذهول ، وهى تحدّق فى جسد دون (كيرليونى) ، المقيّد المعصمين والقدمين ، والمكمّم الفم داخل الصوان ..

ـــ كلا يا دون .. أنت تعلم جيدًا أننى أعلمه .. فأنت أخبرتنى به .. إنه (د ـــ ١٧٧٨٢) .

أدهشتها تلك الابتسامة الساخرة ، التى ملأت شفتيه ، وهو يقول :

ـــ عظيم يا عزيزتى (سونيا) .. هلّا أحضرت لى معطفى ، من ذلك الصوان هناك ؟

كانت تغلى غضبًا ، إلّا أنها نهضت إلى الصوان ، وفتحته فى حدّة ، لتحضر المعطف ، ولكنها لم تكد تفعل حتى تراجعت فى ذعر ، والتسعت عيناها فى ذهول ، وهى تحدّق فى جسد دون (كيرليونى) ، المقيّد المعصمين والقدمين ، والمكمّم الفم داخل الصوان ، ثم التفتت فى حركة حادّة نحو الرجل الذى يحتلُ مقعد دون ، وهتفت فى ذعر :

ـــ إذن فأنت .....

مال الرجل إلى الأمام بغتة ، فدخل وجهه دائرة الضوء ، وهو يصوّب إليها مسدّسًا مزوّدًا بكاتم للصوت ، قائلًا فى هدوء وسخرية :

ـــ نعم يا عزيزتى (سونيا) .. أنا (أدهم) .. (أدهم صبرى) ..

* * *

على الرغم من معرفة (سونيا) التامة لأساليب (أدهم) ومهاراته ، إلّا أن المفاجأة كانت بالنسبة إليها مذهلة ، جعلتها تتهاوى فوق أقرب مقعد إليها ، وهى تغمغم فى انبهار :

ـ لهذا .. لهذا كنت تخفى وجهك فى ركن مُظلم ؟

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـ نعم يا عزيزتى (سونيا) .. إننى أقدر ذكاءك ، وبراعتك فى تعرُّف ، مهما اتخذت من أساليب التنكُّر ، ثم إننى كنت أحتاج إلى معرفة رقم الحساب السِّرّىّ لذلك الوغد ، بعد أن أصرَّ هو على عدم البَوْح به .

سالت دموع المرارة من عينيها ، وهى تسأله فى خفُوت :

ـ كيف فعلت ذلك ؟

هزَّ كتفيه فى استهتار ، وهو يجيب :

ـ لقد استنتجت نصف الحقيقة يا عزيزتى (سونيا) ، فبعد أن أفقدت أوغاد (المافيا) وعيهم ، ابتعت بعض الموادّ اللّازمة لصناعة أقنعتى التنكُّرية الخاصَّة ، ثم عدت إليهم ، وصنعت قناعًا دقيقًا لوجه (مارياني) ، أضفت إليه كدمة صناعية ، تقلِّل من احتمالات كشفهم لأمرى ، وبعدها صحبت هؤلاء الأوغاد إلى هنا ، وتحدّثت إلى دون ، وأنا فى شخصية

(مارياني) ، مما أثار موجة من البلبلة هنا ، ثم طلبت منه أن أتحدّث معه وحدنا فى مكتبه ، ولم أكد أنفرد به حتى نزعت ذلك القناع عن وجهى ، وكشفت له شخصيّتى ، ولقد أصيب بهلَع رهيب ، حتى أننى لم أحتجْ إلّا إلى لكمة واحدة ؛ لأفقده الوَعْىَ ، ثم صنعت قناعًا لوجهه ، وألقيته داخل الصوّان ، وجلست أنتظرك يا عزيزتى (سونيا) .

غمغمت فى حَنَق :

ـ ولكنك لن تقتلنى .. أليس كذلك ؟.. إنك لا تقتل النساء .

نهض من خلف مكتب دون ، واتجه إليها ، قائلًا فى هدوء :

ـ ليس دائمًا يا عزيزتى (سونيا) .

قفزت من مكانها بغتة ، وهى تصرخ :

ـ النجدة يا رجال !! إن الشـ .....

تحوّلت صرختها إلى شهقة ألم ، حينما هوَت كفُّ (أدهم) على وجهها بصفعة قويّة ، ألقتها أرضًا ، ثم انقضّ عليها ، وراح يكمِّم فمها بمنديل دون (كيرليونى) ، وهى تقاومه فى شراسة ، إلى أن لوَى ذراعيها خلف ظهرها ، وقيّدهما فى إحكام ، وهو يقول فى سُخرية :

— معذرةً يا عزيزتى (سونيا) .. لن أسمح لك بإفساد لعبتى .

قيّد قدميها أيضًا فى إحكام ، ثم وضعها داخل الصوان ، إلى جوار دون ، وهو يبتسم فى سُخرية .

— إنها لعبة معقّدة يا عزيزتى (سونيا) ، تعتمد على الانفراد بالخصوم ، واحدًا بعد الآخر ، ومبادرتهم بالهجوم ، ثم الانتقام منهم على نحو مناسب ، يحفظ لى هيبتى فى عالمهم القذر .

همهمَتْ فى عصبية ، فاتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

— إننى لم أنتقم منهم بعدُ يا عزيزتى .. إننى أنحّيهم عن الساحة فحسب ، حتى أتفرّغ لتحطيم (أوكونور) وصقوره ، وبعدها أعود إليهم .

واتجه فى هدوء نحو جهاز الاتصال ، فضغط زرّه ، وهو يستعيد صوت دون (كورليونى) ، قائلًا :

— فلينتبه الجميع .. أوقفوا البحث عن (أدهم صبرى) .. لقد ألغيْتُ المهمّة .

وابتسم وهو يرفع عينيه إلى (سونيا) ، قائلًا :

— هكذا نكون قد أقصينا (المافيا) من الطريق يا عزيزتى (سونيا) ، وسننتقل الآن إلى المرحلة الثانية .

والتقط سمّاعة الهاتف ، وضغط أزراره فى هدوء ، حتى سمع صوتًا يتحدّث إليه من الجانب الآخر ، فقال فى هدوء ، وبصوت فجّر ذهولًا شديدًا فى أعماق (سونيا) :

— أريد التحدُّث مع (توماس ألبى) .. كلّا .. ليس لدىَّ موعد سابق ، ولكنه لن يرفض التحدّث إلىّ ، إذا ما أخبرته باسمى .. بالتأكيد .. إننى أُدْعى (أوكونور) .. الجنرال (دافيد أوكونور) .

واتسعت ابتسامته الساخرة ، وهو يتطلّع إلى وجه (سونيا جراهام) ..

* * *



٦ ــ الثانى ..

« ماذا تعنى بأنك لم تعثر له على أثر ؟.. »..

صرخ (أوكونور) بهذه العبارة فى وجه (دوايت) ، ضابطه الأوّل ، الذى غمغم فى توتّر :

ــ لقد فعلنا كل ما بوسعنا يا جنرال ، فجُبْنا كل الفنادق ، وعرضنا صورته ، التى أعطتنا إيّاها السيِّدة (سونيا جراهام) ، على الجميع ، ولكننا لم نعثر له على أثر .

صاح (أوكونور) ، وهو يلوّح بذراعيه فى غضب :

ــ هذا يعنى أنكم فاشلون ، وأنا لا أقبل الفاشلين فى صفوفى .

غمغم (دوايت) فى حنق :

ــ إننا نبذل أقصى ما بوسعنا يا جنرال ، و.....

قاطعه رنين جرس الهاتف ، فأشار إليه (أوكونور) بالصمت ، والتقط سمّاعة الهاتف ، قائلًا فى حِدّة :

ــ مَن المتحدّث ؟

أتاه ــ عبْر الأسلاك ــ صوت هادئ يقول :

ــ أنا دون (كيرليونى) ..

هتف (أوكونور) فى دهشة :

ــ زعيم الـ .....

بتر عبارته بغتة ، حينما شعر بأنه من الخطإ أن يتفوّه بذلك عبْر الهاتف ، فعقد حاجبيه ، وهو يقول فى توتّر :

ــ ماذا لديْك يا دون ؟

أجابه فى هدوء :

ــ لقد عثرنا على (أدهم صبرى) ، وقتلناه ، وأنت مدين لنا ببعض المال .

صاح (أوكونور) فى انفعال :

ــ قتلتموه ؟!.. إننى .. إننى .....

عجز عن إتمام عبارته من شدة انفعاله ، فقال (أدهم) ، الذى ينتحل شخصية دون (كيرليونى) ، فى هدوء :

ــ إننا على أتمّ الاستعداد لتسليمك جثته يا جنرال ، مقابل خمسة ملايين أخرى .

هتف (أوكونور) فى حرارة :

ــ ستحصل عليها يا دون .. ستحصل عليها بكل سرور .. اصعد إلى جناحى ، وسنناقش الأمر .

لم ينتبه إلى رنّة السخرية ، التى شابت صوت (أدهم) ، وهو يقول :

— بالتأكيد .. إننى قادم إليك .

ثم وضع (أدهم) سماعة الهاتف ، وهو يستطرد فى سخرية :

— وسأحمل إليك مفاجأة ، لن تنساها أبدًا أيها الوغد ..

* * *

استقبل (أوكونور) (أدهم) فى جناحه فى حرارة ، وصافحه فى قوّة ، وهو يهتف فى مرح عصبىّ :

— مرحبًا بك فى جناحى يا دون .. لقد أنجزت عملًا رائعًا فى الواقع ، وأنا أحسدك عليه .. إن القضاء على ذلك الشيطان هو ظفر رائع ، ولقد كنت أتمنّى أن يحوزه صقورى ، إلّا أن منظمتك سبقتنا إليه ، ولكن هذا لا يهم .. المهم أننا قد تخلّصنا من ذلك الشيطان .

كان يتوقّع أن يبادله (أدهم) التحية ، إلّا أنه فوجئ به يسأله فى هدوء ، وهو يدير عينيه فيما حوله :

— كم معك من رجالك هنا يا جنرال ؟

أجابه (أوكونور) فى حَيْرة :

— خمسة عشر رجلًا .. لماذا تسأل ؟

تجاهل (أدهم) سؤاله ، وهو يبتسم قائلًا :

— هل تعتقد أنهم يكفُون لحمايتك ؟

عقد (أوكونور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— إنهم يكفُون لحماية مدينة كاملة يا دون .. إنهم صقور .

قال (أدهم) فى سخرية :

— عجبًا !!.. إننى أراهم مجرّد غربان هزيلة .

رفع (دوايت) حاجبيه فى دهشة ، وتبادل صقور (أوكونور) الثلاثة ، الذين يقومون على حراسة الجناح من الداخل ، نظرات الاستنكار ، على حين هتف (أوكونور) فى غضب :

— دون .. لقد تجاوزت حدودك ، ولست أسمح لك بـ .....

وفجأة ، تخلّى (أدهم) عن تقمّصه لشخصية دون (كيرليونى) ، وهوى على فك (أوكونور) بلكمة قويّة ، ألقت هذا الأخير ثلاثة أمتار إلى الوراء ، ثم تحرّكت قدم (أدهم) فى سرعة مذهلة ، فركلت فك (دوايت) ، قبل أن يستدير لمواجهة الحرّاس الثلاثة ، الذين أصابهم الذهول ، فتسمّروا فى أماكنهم ، وهم يحدّقون فيما حدث ، قبل أن تحطّم قبضة (أدهم) اليمنى فك أولهم ، وتكسر اليسرى أنف ثانيهم ،

وتنقضّ قدمه اليمنى على معدة الثالث ، ثم تركل وجهه فى تعاقب رائع ..

ولم تتجاوز المعركة نصف الدقيقة ، ولم يصدر عنها أدنى صوت ، حتى أن أحدًا من رجال (أوكونور) الأحد عشر ، الذين ينتشرون فى الممر المقابل لم يشعر بما حدث ..

وفى سرعة ومهارة ، أخرج (أدهم) من جيبى معطفه المواد اللازمة ؛ لصنع قناع لوجه (أوكونور) ، ثم أخرج مِحقنًا ، وقنّينة صغيرة ، وراح يحقن الرجال الخمسة بذلك السائل الشفّاف ، الذى تناقص فى سرعة من القنّينة ، ثم ألقاها جانبًا ، وهو يغمغم فى سخرية :

ــ سيضمن لكم ذلك المخدّر نومًا هادئًا ، حتى أنتهى من تدمير قلعتكم أيها الأوغاد .

ثم راح يصنع قناع (أوكونور) فى هدوء ومهارة ..

* * *

مضت ساعة كاملة من العمل والنشاط ، قبل أن يبتسم (أدهم) فى ارتياح ، وهو يتطلّع إلى وجهه فى المرآة ، بعد أن تحوّل إلى صورة طبق الأصل من (أوكونور) ، فغمغم فى سخرية :

ــ كم يؤسفنى أن أحمل وجهًا بغيضًا كوجهك يا جنرال القرود .

ثم اتجه فى هدوء نحو باب الجناح ، وفتحه ، وقال لرجال (أوكونور) فى صرامة ، مقلّدًا صوت ولهجة قائدهم :

ــ سيستغرق اجتماعنا طويلًا ، أنا ودون (كورليونى) ، ولست أحب أن يقاطعنا أحد ، مهما كانت الأسباب ، حتى ولو استغرق اجتماعنا عشر ساعات كاملة .

ثم أغلق الباب فى قوّة ، واتجه نحو النافذة ، وقفز واقفًا على إفريزها الضيّق ، ثم تعلّق بحافّتها العليا ، وصعد بواسطتها إلى الطابق العلوىّ ، ثم إلى سطح الفندق ، حيث هبط بواسطة المصعَد إلى الطابق الأرضىّ ، واتجه نحو مكتب الاستقبال ، وقال للموظّف ، الذى أدهشته رؤية الجنرال منفردًا ، بلا حرّاسه :

ــ أريد استئجار طائرة خاصّة ، للسفر إلى (واشنطن) فورًا .

التقط موظف الاستقبال سمّاعة الهاتف ، وهو يقول فى احترام :

ــ سأرى ما يمكننى فعله يا جنرال .



ثم راحت تدفع باب الصوّان بقدميها فى عُنف ، حتى فتحته ..

ولم تمضِ نصف الساعة ، حتى أخبره موظف الاستقبال بإعداد الطائرة الخاصة ، فى مطار (نيويورك) ، فاستقلّ (أدهم) سيّارة من سيارات الفندق إلى المطار ، حيث وجد الطائرة الصغيرة فى انتظاره ، فقال لقائدها فى هدوء :

ــ إلى (واشنطن) يا رجل .

ولم تكد الطائرة تحلّق فى الهواء ، حتى ابتسم فى سخرية ، وهو يغمغم :

ــ لقد حان موعدنا أخيرًا يا (قلعة الصقور) .

نعم .. لقد حان الموعد ..

* * *

جاهدت (سونيا) طويلًا فى إصرار ، حتى أمكنها تمزيق قيود معصميها ، بحكّهما فى حافّة الصوّان الداخلية ، ثم راحت تدفع باب الصوّان بقدميها فى عُنف ، حتى فتحته ، فأسرعت تحلّ قيود كاحليها ، وهى ترفع الكِمامة عن فمها ، وتصرخ فى غضب :

ــ إلىّ يا رجال !! النجدة !! النجدة !!

لم تكد تتم هتافها ، حتى اقتحم (بيمبولينى) الحجرة ، وهو يشهرُ مسدسه ، هاتفًا :

— ماذا هناك ؟.. مَنْ أنت ؟.. وَمَنْ .....؟

بتر عبارته ، واتسعت عيناه فى ذُهُول ، وهو يحدِّق فى وجه دون (كيرليونى) ، الذى أخذت (سونيا) تحلّ وثاقه فى عصبيَّة ، وهى تهتف :

— هَلُمَّ أيها الغبىّ .. عاونّى فى حلّ وثاق زعيمك .

أسرع (يمبولينى) يحلّ وثاق زعيمه ، وهو يهتف فى ذُهُول :

— ولكن كيف عاد ؟.. ومن فعل بكما ذلك ؟..

هتفت به (سونيا) فى حَنَق :

— لقد خدعكم الشيطان المصرىّ أيها الأغبياء .. لقد تنكَّر فى هيئة زعيمكم ، وخدعكم جميعًا .

اتسعت عينا (يمبولينى) فى ذُهول ، على حين صاح (كيرليونى) ، بعد أن نزع رجله الكِمَامَة عنْ فمه :

— سأقتله .. سأقتله جزاء ذلك .

أمسكت (سونيا) ذراع (يمبولينى) فى لَوْعَة ، وهى تهتف :

— أين ذهب ذلك الشيطان يا رجل ؟

أجابها فى توتُّر :

— لست أدرى .. لقد أصرَّ على الذهاب وحده ، ودون حُرَّاسه ، وقال إنه فى طريقه ليتمّ لُعبة طريفة .

اتسعت عيناها فى ذُعْر ، وهى تهتف :

— لُعْبة ؟!

ثم قفزت إلى الهاتف ، وطلبت رقم حجرة (أوكونور) ، وطال انتظارها ، وهى تسمع رنين الهاتف من الجانب الآخر ، وما من مجيب ، فألقت سمَّاعة الهاتف ، واندفعت خارج الحجرة ، وهى تهتف فى سَخَط :

— ينبغى أن ألحق به ، قبل أن ينهار كل شىء .

نقَّل (يمبولينى) بصره بينها وبين زعيمه فى ذُهول ، وهو يغمغم :

— لست أفهم شيئًا أيها الزعيم .

نهض دون (كيرليونى) ، وهو يقول فى حَنَق :

— لقد خدعنا ذلك الشيطان يا (يمبولينى) .. خدعنا جميعًا .

ثم اتجه إلى مكتبه فى عصبيَّة ، وتناول من فوقه ورقة صغيرة ، تحمل رقم حسابه السِّرِّىّ فى (سويسرا) ، وهو يستطرد فى غضب :

— لقد نجح في خداع تلك الحقيرة (سونيا) أيضًا ، وحصل منها على رقم حسابي السِّرِّيّ .

ثم مزّق الورقة في حِدّة ، وألقاها في سلّة المهملات ، ولم يكد يفعل حتى أعترت جسده رَجْفَة قويّة ، وتجمّدت الدماء في عروقه ، حينما سمع من خلفه صوتًا هادئًا ، يقول :

— أي حساب سِرِّيّ هذا يا دون (كيرليوني) ؟

تراجع (يمبوليني) في ذُعْر ، واستدار (كيرليوني) في بطء ، يواجه صاحبة الصوت بوجه شاحب ، نافس شحوب صوته ، وهو يغمغم في ارتياع :

— دونا (كارولينا) ؟!

وفي هدوء ابتسمت دونا (كارولينا) الفاتنة ، آخر أبناء دول (ريكاردو) ، والزعيمة الكبرى لكل منظمات (المافيا) ، في جميع أنحاء العالم ، وهي تقول في صرامة :

— نعم يا دون (كيرليوني) .. إنه أنا .. ولكنك لم تجب سؤالي بعد .. أي حساب سِرِّيّ هذا ؟

* * *

اقتحمت (سونيا) مدخل فندق (أستور) على نحو عنيف ، أثار دهشة موظف الاستقبال ، خاصة وأن عقارب

الساعة كانت قد تجاوزت منتصف الليل ، إلا أنه سألها في لهجة مهذّبة :

— أيّة خدمة يمكنني تقديمها يا سيّدتي ؟

سألته في عصبيّة :

— قل لي .. هل تلقّى الجنرال (أوكونور) أيّة زيارات هذا المساء ؟

اعتدل موظف الاستقبال ، وهو يقول في لهجة مهذّبة ، تحمل الكثير من الصرامة :

— معذرة يا سيّدتي .. إننا لا نعلن أي أمر يختصّ بنزلائنا ، إلا بناء على موافقتهم شخصيًا أو أمر رسميّ ، أو .....

بتر عبارته ، واتسعت عيناه في رُعْب ، حينما شَهَرت مسدّسها في وجهه ، وهي تصيح في غضب :

— هل يبدو لك ذلك سببًا منطقيًا ؟

شَحُبَ وجه الموظف ، وهو يتراجع في رُعْب ، مغمغمًا :

— بالتأكيد يا سيّدتي .. بالتأكيد .

ثم أسرع يقول في خوف :

— إن الجنرال (أوكونور) لم يتلقّ سوى زيارة واحدة ، من دون (كيرليوني) ، و .....

قاطعته وهى تهتف فى ذُعر :

ـــ يا للشيطان !!.. ينبغى أن ألحق به قبل أن .....

قاطعها موظف الاستقبال هذه المرّة ، وهو يغمغم فى شُحُوب وترَدُّد :

ـــ معذرةً يا سيِّدتى ، ولكن الجنرال ليس فى جناحه الآن .

التفتت إليه مرّة أخرى ، تسأله فى خشونة :

ـــ ماذا تعنى ؟.. أين هو إذن ؟

أجابها فى ارتياع :

ـــ لقد غادر الفندق يا سيِّدتى .. وحده .. ودون رجاله .

أطلّ جزعها من عينيها ، وهى تسأله فى عصبيّة :

ـــ هل أخبرك إلى أين سيذهب ؟

تردَّد لحظة ، ثم غمغم فى شُحُوب :

ـــ كلّا .. ولكن .....

صاحت به فى توتُّر شديد :

ـــ ولكن ماذا ؟

تراجع ، وهو يُجيب فى رُعْب :

ـــ ولكنه استأجر طائرة خاصّة ، لتقلّه إلى (واشنطن) .

هتفت فى ذُعر :

ـــ (واشنطن) ؟

ثم اندفعت نحو المصعد ، مستطردة فى ارتياع :

ـــ اطلُبْ رجال الإسعاف بسرعة يا رجل .. إننى واثقة أن الجنرال (أوكونور) الأصلىّ سيحتاج إلى علاج عاجل .. أسرع بحقّ الشيطان ، وإلّا ضاع كل شىء ، وانتهت (قلعة الصقور) .. أسرع ..

* * *



٧ ــ قلعة الجحيم ..

« لقد وصلنا إلى (واشنطن) يا جنرال .. » ..

أيقظت تلك العبارة (أدهم) ، بعد أن استغرق فى نوم عميق ، طوال فترة الطيران من (نيويورك) إلى (واشنطن) ، فاعتدل ، وتثاءب فى عمق ، لاستعادة نشاطه ، وتقمّص مرّة أخرى صوت وشخصية (أوكونور) ، وهو يقول للطيّار :

ــ أريد استئجار هليوكوبتر فور هبوطنا ، للذهاب إلى القلعة .

تطلّع إليه الطيّار فى دهشة ، وهو يقول :

ــ ولِمَ يا جنرال ؟.. يمكننا الاتصال بالقلعة لاسلكيًا ، قبل هبوطنا ؛ ليرسلوا هليوكوبتر لاستقبالك كالمعتاد .

أدرك (أدهم) أنه لم يستعد كامل نشاطه وحيويته الذهنية بعد ، فعقد حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ لا بأس .. افعل .

واسترخى فى مقعده ، وهو يتطلّع إلى ممرّ الهبوط ، الذى لامسته إطارات الطائرة ، وانزلقت فوقه طويلاً ، قبل أن تستقرّ فى عظمة ، فغادرها (أدهم) فى شخصية

(أوكونور) ، وانتظر عشر دقائق ، حتى هبطت هليوكوبتر الصقور ، وقفز منها أحدهم ، وهو يؤدى التحية العسكرية فى حزم ، فابتسم (أدهم) فى سخرية ، واتجه نحو الهليوكوبتر ، واستقرّ داخلها ، وهو يقول فى صرامة :

ــ إلى القلعة .

وارتفعت الهليوكوبتر على الفور ، وانطلقت تعبُر سماء (واشنطن) ، حتى لاحت (قلعة الصقور) ، فارتسمت ابتسامة واسعة على شفتى (أدهم) ، وهو يغمغم من أعماقه :

ــ الآن تبدأ المعركة الحقيقية أيها الأوغاد .

وهبطت به الهليوكوبتر فى الساحة ..

ساحة قلعة الجحيم ..

* * *

انهار دون (كيرليونى) على مقعده ، وامتقع وجهه فى شدّة ، وهو يحدّق فى وجه دونا (كارولينا) ، التى خلعت معطفها فى هدوء ، والتقطت إحدى سجائرها الطويلة الرفيعة ، ودسّتها بين شفتيها الجميلتين ، فأسرع أحد رجالها يشعلها لها بقدّاحة ذهبية خاصّة ، وتراجع ليقف إلى جوارها ثابتًا ، على حين نفثت هى دُخان سيجارتها فى الهواء ، وهى تقول فى هدوء :

ــ معذرةً يا (كورليوني) .. لقد نسيت أن أخبرك بقدومي العاجل ، وبأن رجالي قد سيطروا على قصرك الجميل فور وصولي ، وجرّدوا رجالك من أسلحتهم .

غمغم في شُحُوب :

ــ لماذا يا دونا ؟

هزّت كتفيها في لامبالاة ، وهي تقول في هدوء أثار الرجفة في أوصاله :

ــ ربّما لأنني أكره الخيانة والخوَنة .

ازداد امتقاعه ، حتى بات وجهه شبيهًا بوجوه الموتى ، وهو يقول :

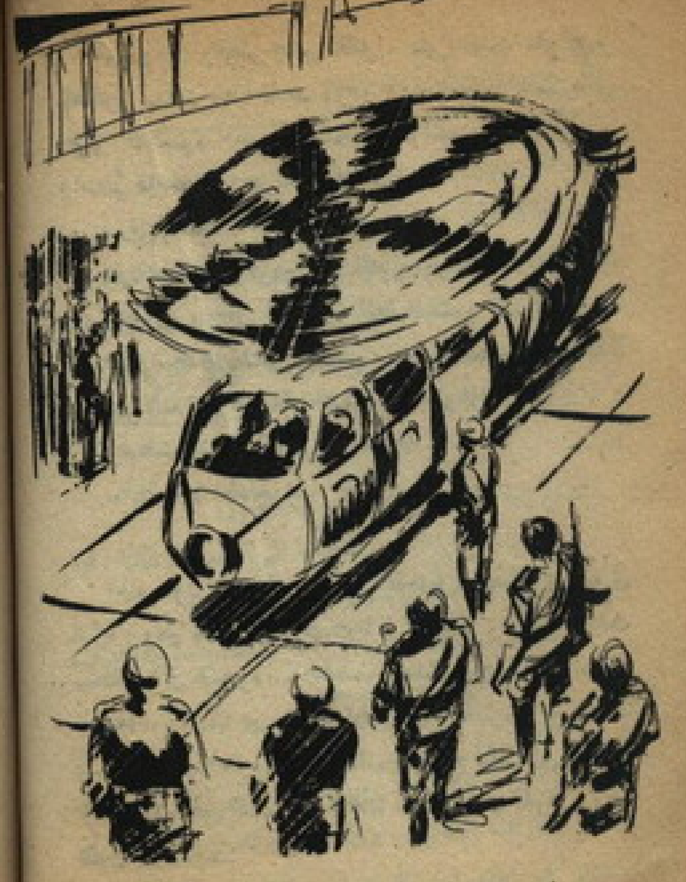
ــ أيّة خيانة يا دونا ؟.. إنني رجلك المخلص .

ابتسمت في سخرية ، وهي تقول في برود :

ــ هكذا ؟!.. لماذا خالفت أوامري إذن ، وأمرت رجالك بالتخلّص من صديقي (أدهم صبري) ؟.. ثم لماذا تحوز حسابًا سريًا خاصًا ؟

ونفثت دُخان سيجارتها في وجهه ، وهي تستطرد في سخرية :

ــ إنك تحصل من المنظمة على نصف مليون دولار شهريًا .. أليس كذلك ؟



وهبطت به الهليوكوبتر في الساحة .. ساحة قلعة الجحيم ..

تحوَّل إلى كتلة من الانهيار ، وهو يغمغم :

ـ دونا .. إننى .....

قاطعته فى هدوء :

ـ أعلم يا عزيزى (كيرليونى) .. أعلم أن نفقاتك تزيد عمّا تحصل عليه منا .. فأنت تملك خمسة قصور ، فى (نيويورك) ، و (واشنطن) ، و (فلوريدا) ، و (تكساس) ، و (لاس فيجاس) ، بالاضافة إلى إسطبلات الخيول ، والكازينوهات الفاخرة ، ونادى القِمَار .. إن نفقاتك باهظة بالفعل يا عزيزى .

هتف فى ضراعة :

ـ إننى أعترف بالخطإ يا دونا ، و .....

قاطعته فى صرامة :

ـ لا عليك يا عزيزى (كيرليونى) .. لن يغيِّر هذا من الوضع شيئًا .. لقد أصدرت أوامرى بالاستيلاء على كل قصورك ، وإسطبلاتك ، ونواديك .. وسيتمّ تدمير كل هذا قبل فجر الغد .

زاغت عيناه فى رُعْب ، وهو يهتف :

ـ كلّا يا دونا .. كلّا .. إنك تدمِّريننى تمامًا هكذا .

رفعت حاجبيها الجميلين ، وهى تقول :

ـ لماذا يا عزيزى (كيرليونى) ؟.. إنك لن تحتاج إلى كل هذا حينما أرسلك .

أدرك مغزى عبارتها على الفور ، فتراجع فى ذُعْر هائل ، على حين عقد (بيمبولينى) حاجبيه فى شِدَّة ، ثم استلّ مسدسه فجأة ، وهو يصرخ :

ـ كلّا يا دونا .. إننا لن نستسلم .

ولكن مسدسه لم يُطلق رصاصة واحدة ، إذ انهمرت عليه رصاصات مدافع رجال دونا (كارولينا) الآلية ، واخترقت جسده بلا رحمة ، فتهاوى عند قدمَىْ زعيمه جثة هامدة ، وابتسمت دونا (كارولينا) وهى تتطلَّع إلى الرُّعب الهائل الذى ملأ وجه (كيرليونى) ، وهى تقول فى إشفاق زائف :

ـ لا تقلق هكذا يا عزيزى (كيرليونى) .. إننا لن نطلق النار عليك ، فأنا أُعِدّ لك مصيرًا أفضل .

ثم التفتت إلى أحد رجالها ، مستطردة فى هدوء :

ـ خذوا صديقنا (كيرليونى) ، واربطوا على صدره حجرًا ضخمًا ، وألقوه فى البحر .

صرخ (كيرليونى) فى رُعْب :

— كلا يا دونا .. الرّحمة !! الرّحمة !!

أطلقت ضحكة ساخرة ، وهى تقول :

— لا بأس يا عزيزى .. ستحصل على الرّحمة ، ما دمت تطلبها .

ثم التفتت إلى رجلها مرّة أخرى ، مستطردة :

— فليكن الحجر أملس ، حتى لا يؤذى صديقنا فى رحلته .

انقضّ رجالها على (كيرليونى) ، الذى راح يقاومهم فى استماتة ، وهو يصرخ :

— (أدهم صبرى) هو الذى يستحق ذلك المصير يا دونا .. لقد خدعنا جميعًا .. لقد حصل على رقم حسابى السّرّى ، ومفتاح خزانتى الخاصّة فى (سويسرا) .. لقد خدعنا يا دونا .. إنه .....

لم يستطع إتمام عبارته ، حينما كمّم رجالها فمه ، وقيّدوا قدميْه ومعصميْه ، وهم يحملونه خارجًا ، على حين نفثت هى دُخان سيجارتها فى هدوء ، وهى تغمغم :

— إلى الجحيم أيها الحقير .. إننى أدين لـ(أدهم صبرى) هذا الذى تلعنه بالفضل ، فلولا اتصاله بى ، وشرح الأمر لى ، لتماديت فى مخالفة أوامرى .. نعم .. إننى أدين له بالفضل .

وارتفع حاجباها فى عاطفة ، وهى تنفث دُخان سيجارتها فى عمق ، وصورة (أدهم) تحتلّ عقلها .. بل كيانها كله ..

* * *

تأوّه (أوكونور) ، وهو يستعيد وعيه ، وغمغم فى ألم :

— أين أنا ؟ .. ماذا حدث ؟

هزّته (سونيا) فى عُنف ، وهى تهتف :

— استيقظ يا رجل .. استعِد وعيك قبل أن تخسر كل شىء .. لقد أضعت من وقتنا ثلاث ساعات كاملة ، ونحن نحاول إيقاظك .

فتح عينيه ، وتطلّع إلى الأطبّاء ورجال الإسعاف ورجاله ، الذين يحيطون به ، وهتف فى دهشة :

— ماذا حدث ؟

ثم استعاد ذهنه كل الأحداث دفعة واحدة ، فهبّ من فراشه صائحًا :

— أين ذلك الشيطان ؟

جذبته (سونيا) ، وهى تهتف فى انفعال :

— لقد خدعك يا (أوكونور) ، وقابلك فى هيئة (كورليونى) ، ثم انتحل شخصيتك ، وذهب إلى القلعة .

اتسعت عيناه ، وهو يهتف فى ذعر :

— إلى القلعة ؟!

هتفت فى عصبيّة :

— نعم .. وينبغى إيقافه فى سرعة ، قبل أن نخسر كل شىء .

كانت المفاجأة عنيفة ، حتى أنّ جسده تسمّر لحظة ، قبل أن يقفز من الفراش ، صائحًا فى وجوه رجاله :

— أحضروا جهاز اللاسلكى ، وأوصلونى بالقلعة على الفور .. لابدّ من تحطيم هذا الشيطان وإيقافه .. لابدّ ..

* * *

استقبل (هوندو) ، الضابط الثانى لـ (أوكونور) ، (أدهم) بتحية عسكرية ، وهو يقول :

— مرحبًا بعودتك ياجنرال .. أين (دوايت) والآخرون ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة ، وهو يتجه إلى مبنى المراقبة ، الذى يتوسط القلعة :

— لقد تركتهم هناك .. إنه تفتيش مفاجئ يا (هوندو) .

عقد (هوندو) حاجبيه فى دهشة وحيرة ، وخامره شعور بأن قائده يبدو مختلفًا ، إلا أنه لم يلبث أن نفض هذا الشعور ، وهو يتبع قائده إلى مبنى المراقبة ، قائلًا :

— كما تأمر ياسيّدى الجنرال .

هبط خلفه فى درجات سُلّم مبنى المراقبة ، و (أدهم) يستعيد فى ذهنه تصميمات القلعة ، التى أطلعه عليها (توماس ألبى) مدير المخابرات الأمريكية ، فى بداية المهمّة ، حتى وصل مع (هوندو) إلى قاعة متوسّطة الحجم ، تزخرُ بالمعدات والآليات الحديثة ، فاتجه نحو ركن القاعة ، حيث أزرار التحكّم فى إطلاق الصواريخ ذات الرءوس النوويّة ، وتفجير القنبلة الذريّة فى باطن القلعة ، وسأل الرجل القائم عليها :

— أكل شىء على مايرام ؟

أجابه الرجل فى احترام :

— نعم ياجنرال .. كل شىء على ما يرام .

دار (أدهم) بعينيه فى أرجاء القاعة ، وأحصى سبعة رجال أمام معداتها وآلياتها ، بالإضافة إلى حارس واحد أمام بابها ، و (هوندو) ..

تسعة رجال ، ينبغى التغلّب عليهم ، قبل تدمير الأزرار ،

وبعدها تفقد (قلعة الصقور) قوتها وفاعليتها ..

وفى بطء وحذر ، تحسس (أدهم) المسدسين المخفيين فى حزامه ، وهو يدرس خطة الهجوم على الرجال التسعة ، وتدمير لوحة الأزرار فى الوقت ذاته ..

وفجأة ، وقبل أن يستقر ذهنه على خطة محدودة ، انبعث صوت عبر كل أجهزة الاتصال ، فى جميع أرجاء القلعة ، يهتف فى عصبية وحزم :

ــ هنا الجنرال (أوكونور) . زعيمكم أيها الصقور .. حذار من الرجل الذى وصل إلى قلعتكم منذ قليل .. إنه ليس أنا .. إنه زائف .. إنه ذلك الشيطان المصرى متحلًا هيئتى .. أكرر .. أنا الجنرال (أوكونور) الحقيقى ..

وعلى الرغم من قوة المفاجأة وعنفها ، إلا أن رجال (أوكونور) التسعة تحركوا فى آن واحد ، وعلى نحو غريزى ، وارتفعت تسعة مدافع آلية نحو (أدهم) ..

ومن جميع الاتجاهات ..

* * *

٨ ــ نيران (واشنطن) ..

رفع (أدهم) كفه فى وجه (هوندو) ، وهو يهتف فى صرامة ، مقلدًا فى مهارة مذهلة ، صوت ولهجة (أوكونور) :

ــ مهلًا يا رجال .. هل يسهل خداعكم إلى هذا الحد ؟ .. إننى أقف أمامكم هنا ، وهناك صوت ــ مجرد صوت ــ يقول إننى لست أنا ، فمن تصدقون ؟

تردد الرجال ، وقد بذرت عبارته فى أعماقهم الشكوك ، وغمغم (هوندو) فى حذر :

ــ ولكن هناك احتمالًا يا جنرال ، وينبغى محو الشك تجاهه .. هذا ما علمتنا إياه .

خفض (أدهم) ذراعيه إلى جواره ، وهو يقول فى حدة :

ــ عظيم يا (هوندو) .. وكيف يمكنك أن تفعل ؟

أشار (هوندو) إلى وجه (أدهم) ، وهو يقول فى تردد :

ــ ينبغى أن نتأكد أولًا من أن هذا ليس قناعًا .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

ــ افعل إذن يا (هوندو) .

اتجه (هوندو) نحوه فى حذر ، ومد يده نحو القناع ، الذى يحمل وجه (أوكونور) ..



ثم انتزع مسدسه ، وهو يحيط جسد (هوندو) بذراعه ، واستدار يطلق النار على الرجل ، الذى يقف إلى جوار لوحة أزرار الموت ..

وفجأة تحرّك (أدهم) .

جذب إليه (هوندو) فى حركة مباغتة سريعة ، وحطّم أنفه بلكمة ساحقة ، ثم انتزع مسدسه ، وهو يحيط جسد (هوندو) بذراعه ، واستدار يطلق النار على الرجل ، الذى يقف إلى جوار لوحة أزرار الموت ..

وعلى الفور ، انطلقت رصاصات الرجال السبعة الآخرين نحو (أدهم) ، الذى اتخذ من جسد (هوندو) درعًا يقيه الرصاصات ، وانتزع مدفع هذا الأخير ، وأخذ يطلقه على الرجال السبعة فى إحكام وسخاء ..

وشعر (أدهم) بعمود من النار يخترق كتفه ، وبرصاصة تحتك بجبهته ، وأخرى تغوص فى لحم ساعده الأيسر ، الذى يحيط به جسد (هوندو) ، الذى تحوّل إلى مصفاة تنزف دمًا غزيرًا ، بعد أن أصابته عشرات الرصاصات ..

وأسقطت رصاصات (أدهم) الرجال السبعة ، وجذبت ثلاثة وعشرين رجلًا آخر ، اندفعوا نحو مبنى المراقبة فى شراسة ، وقد أيقنوا من وقوعهم فى خدعة شيطانية مُحْكَمة ، فألقى (أدهم) جسد (هوندو) بعيدًا ، واندفع نحو باب المبنى الفولاذى ، وأغلقه فى وجوه الصقور فى إحكام ، وسمع

رصاصاتهم ترتطم بالباب ، فتجاهلها ، وعاد أدراجه إلى لوحة الأزرار ، وهو يغمغم في حزم :

ـ أنتِ أوّلاً ..

وانطلقت رصاصاته تحطّم لوحة الأزرار ، وتقضي على نقطة تفوّق (صقور أوكونور) ..

* * *

كانت الدماء تنزف من جراح (أدهم) في غزارة ، والرصاصات تنهمر على الباب الفولاذيّ في شراسة ، إلّا أن (أدهم) ظلّ هادئًا ، وهو يمزّق قميص (أوكونور) الذي يرتديه ، ويضمِّد به جراحه ، ويحيط بجزء منه جبينه ، ليوقف الدماء السائلة من جرحها السطحي ، ثم اتجه نحو لوحة اللاسلكي ، وأدار مؤشرها إلى موجة المخابرات المركزية الأمريكية السّرّيّة ، وضغط زرّ الاتصال ، قائلاً في هدوء :

ـ من (أدهم صبري) إلى المخابرات الأمريكية .. أريد التحدُّث مع (توماس ألبي) شخصيًّا .. حوّل ..

انتظر لحظات ، حتى جاءه صوت (توماس) يقول في لهفة :

ـ هنا (توماس ألبي) .. أين أنت يا مستر (أدهم) ؟

ابتسم في سخرية ، وهو يجيب :

ـ في (قلعة الصقور) .. لقد تمّ تنفيذ المهمّة ، وتدمير لوحة الأزرار ، ولكنني محاصر داخل مبنى المراقبة .

ساد الصمت لحظات ، وكأنما أصابت عبارته (توماس ألبي) بالذُّهول ، قبل أن يهتف هذا الأخير :

ـ رائع يا مستر (أدهم) .. رائع .. ستصل إليك النجدة بعد لحظات .

أنهى (أدهم) الاتصال ، وهو يغمغم :

ـ اذهب إلى الجحيم .

وفجأة ، انفجر الباب الفولاذيّ ، وهاوى بدويّ هائل ، واندفع رجال (أوكونور) إلى المبنى ، ومدافعهم الآلية مشهَرة في وجه (أدهم) ..

لقد فتح الجحيم أبوابه ..

* * *

ارتدى (أوكونور) ثيابه على عجل ، وهو يهتف في سخط :

ـ ذلك المصريّ الحقير .. هل يظن أنه سينتصر على (أوكونور) وصقوره بهذه الوسيلة السخيفة ؟!.. إنني سأمزّقه إربًا .. سأحوّله إلى أشلاء .

ثم اندفع يغادر جناحه ، وخلفه رجاله ، و (سونيا) تردّد فى انفعال :

ـ المهم أن نصل فى الوقت المناسب .. المهم أن نفعل .

استقلّ مع (سونيا) و (دوايت) مصعد الفندق ، على حين هبط رجاله فى درجات السّلّم ، والتقى الجميع فى بهو الفندق ، واتجهوا إلى خارجه ، ولكنهم ــ وقبل أن يدخلوا سياراتهم ــ فوجئوا بخمس سيارات للشّرطة تحيط بهم ، ويهبط منها عشرات الرجال ، يصوّبون إليهم مسدساتهم ، وبينهم رجل يهتف فى صرامة :

ـ أنت موقوف ورجالك يا جنرال (أوكونور) .. استسلموا أو نطلق النار فورًا .

تحفّز رجال (أوكونور) للاشتباك مع رجال الشرطة ، على حين هتف هو فى غضب :

ـ أأصابكم الجنون ؟!.. ألا تعلمون من أنا ؟.. إننى الجنرال (دافيد أوكونور) .. وأنا أحذّركم من المساس بى أو برجالى ، وإلّا .....

قاطعه مفتش الشرطة فى تشفّ :

ـ لقد ألغيت الأوامر الخاصّة بعدم التعرّض لك ولرجالك

يا جنرال ، وصدر أمر جديد بإلقاء القبض عليكم جميعًا ، وقتلكم فورًا عند مقاومة إلقاء القبض ، وأنا أنذرك للمرّة الثانية .. استسلموا وإلّا .....

أدركت (سونيا) على الفور مغزى ذلك التبدّل فى الأمور ، وانتفض قلبها فى بُغض هائل ، وقد أيقنت من أن (أدهم) قد انتصر ، وحطّم أزرار الإطلاق فى القلعة ، وأنه قد هزم الجميع هذه المرّة أيضًا ، وسيطرت على رأسها فكرة واحدة ، ألا وهى ضرورة الإفلات من ذلك المأزق ، فلم يكن منها إلّا أن صرخت فى لهجة امرأة فزعة :

ـ النجدة !! أنقذونى من (أوكونور) ورجاله .. إنهم يحتجزوننى بالقوّة .

صرخ (أوكونور) فى غضب :

ـ أيتها الحقيرة .

ثم صاح فى رجاله :

ـ قاتلوا يا رجال ..

وفى لحظة واحدة ، تحوّلت الساحة المواجهة للفندق (أستور) إلى جحيم ..

جحيم (أوكونور) ..

* * *

لم يكد رجال (أوكونور) يقتحمون مبنى المراقبة ، بعد نسف الباب الفولاذىّ ، حتى استقبلهم سيل من رصاصات (أدهم) ، الذى تجاهل مؤقتًا كراهيته للقتل ، ما دام هذا هو السبيل الوحيد لإنقاذ حياته ..

ومن حسن الحظ أن الباب الفولاذىّ كان ضيقًا ، لا يسمح بدخول أكثر من رجلين فى المرّة الواحدة ، وأن (أدهم) كان يمتلك سبعة مدافع آلية ، مُتخمة بالرصاصات والذخيرة ..

وأسقطت رصاصات (أدهم) ثمانية رجال فى الهجوم الأوّل ، وأربعة فى الهجوم الثانى ، ثم تراجع الأحد عشر رجلًا الباقون ، وقد أدركوا عقم محاولة الاقتحام ، إلّا أنه لم تمض لحظات حتى ألقيت أربع قنابل يدوية داخل القاعة ، فاندفع (أدهم) يلتقطها فى سرعة ، ويعيدها إلى مرسليها ، فانفجرت وسط (صقور أوكونور) ، وأقصت خمسة آخرين من المعركة ..

وثارت ثائرة الستة الباقين من الصُّقور ، وأحنقهم أن ينجح رجل واحد فى التسلُّل إلى حصنهم ، وتدمير أجهزتهم ، وقتل رفاقهم على هذا النحو ..

وفى غضب وثورة ، أحضر الصقور الستة قاذفات اللهب ، واصطفوا أمام مبنى المراقبة ، وصاح أحدهم فى هياج :

ـ حسنًا أيها المصرىّ .. أتريد جحيمًا ؟.. ها هو ذا ..

وانطلقت النيران نحو مبنى المراقبة ..

* * *

استغرق إطلاق النيران ثلاث عشرة دقيقة فحسب ، أمام فندق (أستور) ، وأصيب نزلاء الفندق وسكّان المنطقة بهَلَع لا مثيل له ، ورُعب لا قِبَلَ لهم به ..

ثم هدأ كل شىء ، وبقيت سحابة من الأدخنة ، وآلاف الشظايا من الزجاج والسيّارات المحطَّمة ، التى راحت ضحية القتال ..

وبضع جثث ..

واتجه مفتش الشرطة فى هدوء نحو الجثث ، وراح يفحصها واحدة بعد الأخرى ، على حين نهضت (سونيا) من مكمنها ، وهى تقول فى هلَع زائف :

ـ حمدًا لله .. لقد أنقذتمونى من هؤلاء الأوغاد .. شكرًا لكم .. شكرًا لكم .

تجاهلها الجميع تمامًا ، وهم يواصلون فحص جثث القتلى ، حتى توقّفوا أمام جثة رجل متين البنيان ، أشيب الفَوْدين ، تلقّى ثلاث رصاصات صائبة فى جمجمته ، فلقى مصرعه جاحظ

العينين ، والذهول يملأ كل خلجة من خلجاته ، وتنهّد مفتش الشرطة في ارتياح ، ثم اتجه نحو سيارته ، والتقط مسماع جهاز اللاسلكي ، وقال :

— انتهت المهمة .. لقد قاوم (أوكونور) ورجاله ، فاضطررنا إلى مبادلتهم إطلاق النيران .

ولم يستطع كتمان ابتسامته ، وهو يستطرد :

— ولقد لقِيَ (أوكونور) مصرعه .

ثم أنهى الاتصال ، واتسعت ابتسامته المتشفية ، وهو يردف لنفسه :

— وذهب الطاغية إلى الجحيم .

* * *

التصق (أدهم) بحائط القاعة الجانبيّ ، متفاديًا نيران قاذفات اللهب ، وتصبّب العرق من جسده في غزارة ، من شدّة حرارة المكان ، الذى تحوّل إلى بؤرة من الجحيم ، ثم لم تلبث الآليات والأجهزة الإليكترونية أن تفجّرت ، فحمى جسده من انفجارها بذراعيه ، على حين تعالى صوت أحد الصقور ، وهو يقول في غضب :

— استعدّ أيها المصريّ ، فنحن قادمون إليك ، لنحوّلك إلى كتلة من النيران .

عقد (أدهم) حاجبيه في غضب ، وهو يغمغم :

— اذهب إلى الجحيم أيها الحقير .. إن (أدهم صبرى) لا يؤخذ بهذه البساطة .

وأمسك مدفعين آليّين ، وهو يستطرد في حزم :

— لن أسمح لكم بهزيمتي هكذا .

كان يعلم أن مقاومة ست قاذفات لهب مستحيل ، وأنه سيلقى حتفه حرقًا ، قبل أن يُردِى واحدًا أو اثنين منهما ، إلا أن عناده الشديد أبى عليه أن يستسلم لمصيره هكذا ، كالفأر الضعيف في المصيدة ، فغمغم في هدوء :

— وداعًا يا (منى) .. وداعًا يا شقيقي العزيز .. وداعًا يا (مصر) .

ثم صرخ في حزم وصرامة :

— استعد أنت أيها الوغد .. إنني قادم إليكم .

وقرّر أن يلقى نفسه في قلب الجحيم ..

* * *

٩ ـ النصْر..

قبل أن يتحرّك (أدهم) ، أو يلقى بنفسه فى ذلك الأتون الجهنمى ، توقّف اللهب فجأة ، واختلط فى أذنى (أدهم) ، هدير مروحة هليوكوبتر قويّة ، وَدَوِىّ رصاصات متتابعة ، وصراخ يجمع ما بين الدهشة والألم ، فاندفع (أدهم) خارجًا ، وتطلّع فى دهشة إلى هليوكوبتر تابعة للمخابرات الأمريكية ، تهبط وسط القلعة ، بعد أن أطلقت رصاصاتها على الصقور الستة ، وأرسلتهم ليلحقوا برفاقهم وقائدهم فى الجحيم ..

وهبط من الهليوكوبتر رجلان من رجال المخابرات الأمريكية ، على حين بَقِىَ قائدها داخلها ، واتجه الرجلان نحو (أدهم) ، وخاطبه أحدهما قائلًا :

ـ أأنت (أدهم صبرى) ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ إنه أنا .

تبادل الرجلان نظرة لم ترُق لـ (أدهم) ، قبل أن يبتسم الآخر قائلًا :

ـ لقد قمت بعمل رائع يا رجل .

ثم تلاشت ابتسامته ، وتجهَّم وجهه ، وهو يستطرد :

ـ ولكن ......

لم يتمّ عبارته ، إذ أسرع الآخر يقول :

ـ إننا نقدّر عملك يا مستر (أدهم) ، ولكن ضرورات السِّرِّيّة ترغمنا على أن ......

لم ينتظر (أدهم) حتى يتمّ الرجل عبارته ، وإنما عاجله بلكمة مباغتة ، ألقته بعيدًا ، ثم استدار إلى الآخر ، الذى حاول انتزاع مسدّسه ، وكال له لكمة صاعقة ، أسقطت الرجل دون أن ينبس ببنتِ شفَة ، ثم صوّب مدفعه الآلىّ نحو قائد الهليوكوبتر ، قائلًا فى صرامة :

ـ اهبط .

غادر الرجل الهليوكوبتر ، وهو يرفع ذراعيه فوق رأسه ، قائلًا فى ذُعر :

ـ لا شأن لى بهذا يا مستر (أدهم) .. صدّقنى .. لقد كنت أعارض فكرة التخلّص منك ، بعد كل ما فعلته من أجلنا .. أقسم على ذلك .. إننى لم أشأ أن أهبط حتى من الهليوكوبتر .

قال (أدهم) فى صرامة :

ـ ابتعد .

ابتعد الرجل عن الهليوكوبتر فى سرعة ، فاتجه إليها (أدهم) ، وقال فى صرامة ، وهو يجلس على مقعد قيادتها :

ـ لدىّ رسالة أريد منك أن تنقلها إلى رئيسك (توماس ألبى) .

وارتجف جسد الطيّار ، حينما أردف (أدهم) فى لهجة مخيفة :

ـ قل له أن ينتظرنى .

ثم حلّق بالهليوكوبتر مبتعدًا عن (قلعة الصقور) ..

* * *

بدا (توماس ألبى) واضح التوتّر والقلق ، وهو يدلف إلى مكتبه فى الصباح التالى ، وأمر سكرتيرته باستدعاء مساعده (بيوت) ، الذى هرع إليه بعينه المتورّمة ، بعد اشتباكه مع (أدهم) فى اليوم السابق ، وقال فى قلق :

ـ هل طلبت رؤيتى يا سيّدى ؟

أجابه (توماس) ، وهو يتطلّع من نافذة حجرته ، ودون أن يلتفت إليه :

ـ ألم تعثروا على (أدهم صبرى) بعد ؟

غمغم (بيوت) فى توتّر :

ـ مازلنا نواصل البحث عنه يا سيّدى .

مطّ (توماس) شفتيه فى ضيق ، وهو يغمغم :

ـ اللعنة !

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ أحضر لى قائمة بأسماء كل عملاء (الموساد) فى الشرق الأوسط ، وأخرى بأسماء كل عملائنا هناك .

سأله (بيوت) فى دهشة :

ـ لماذا يا سيّدى ؟

أجابه فى برود :

ـ هذا من حقّى .. أليس كذلك ؟

غمغم (بيوت) فى استسلام :

ـ بالطبع يا سيّدى .. بالطبع .

صمت (توماس) لحظة أخرى ، ثم قال :

ـ أريد منك أيضًا أن تحوّل عشرة ملايين دولار من حساب مصروفاتنا السرّية إلى (القاهرة) ، وستجد رقم الحساب ، الذى أريد تحويل المبلغ إليه ، فى تلك الورقة على مكتبى .

تناول (بيوت) الورقة ، مغمغمًا :

ــ أهى عمليَّة كبيرة فى (القاهرة) ياسيِّدى ؟

أجابه (توماس) فى اقتضاب :

ــ نعم .

ثم أردف فى صرامة :

ــ نقطة أخرى يا (ألبيوت) .. أرسل فورًا ملف عمليَّة (أوكونور) إلى (الكونجرس) .

اتسعت عينا (بيوت) فى جَزَع ، وهو يهتف :

ــ ولكن ياسيِّدى ..

قاطعه (توماس) فى حزم :

ــ أطع الأمر يا (بيوت) .

هزَّ (بيوت) رأسه فى حَيْرة ، وهو يغمغم :

ــ كما تشاء ياسيِّدى ، ولكن هذا سيتسبَّب لنا فى مشكلة ضخمة ، فمن المفروض طبقًا للقانون ألا نعمل داخل البلاد(*).

(*) يحظر القانون والدستور الأمريكى ، على المخابرات المركزية التدخل فى الشئون الداخلية للبلاد ، أو العمل داخلها ، حتى لا تتعارض مع المباحث الفيدرالية ، كما يحدث فى (مصر) ، بالنسبة للمخابرات العامّة ، والمباحث العامّة .

عقد (توماس) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أرسل الملف يا (بيوت) .

تنهَّد (بيوت) فى استسلام ، وهو يغمغم :

ــ كما تأمر ياسيِّدى .. كما تأمر .

وغادر الحجرة ، وهو يستطرد فى حَنَق :

ــ لقد أصيب بالجنون .. أراهن أن هذا ما حدث .

* * *

انتهى (توماس ألبى) من أعمال مكتبه فى سرعة ، وغادره وحده عائدًا إلى منزله ، وهو يحمل فى جيب سترته قائمتى عملاء (الموساد) و (المخابرات الأمريكية) ، ولكنه لم يذهب مباشرة إلى منزله ، وإنما انحرف فى طريق جانبىّ ، وتوقَّف أمام منزل من طابق واحد ، وغادر سيَّارته ، ودلف إلى المنزل ، ثم هبط إلى قبوه ، وجلس أمام رجل مقيَّد داخل القبْو ، وابتسم قائلًا فى سخرية :

ــ كيف حالك يامستر (ألبى) ؟

لم يكن ذلك الرجل المقيَّد سوى (توماس ألبى) الحقيقى ، مدير المخابرات المركزية الأمريكية ، أمَّا ذلك الذى يجلس أمامه ، والذى يحمل ملامحه بالضبط ، فلم يكن إلا (أدهم



وجلس أمام رجل مقيّد داخل القبو ، وابتسم قائلاً فى سخرية :
ـــ كيف حالك يا مستر (ألبى) ؟

صبرى) ، الذى انتزع عن وجهه قناع (توماس) الدقيق الصنع ، على حين كان هذا الأخير يقول فى حَنَق :

ـــ إنك تلعب بالنار يا مستر (أدهم) ، فاختطافك لى هذا الصباح ، وأسرك لى هنا جريمتان يمكنك أن تُسجن طيلة عمرك من أجلهما .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ لا تقلق بشأنى يا عزيزى (ألبى) .. لقد حاولت قتلى ، فى أثناء تنفيذى مهمّة خاصّة بك ، وكذلك بعد انتهائى منها ، وكان ينبغى أن أقتلك جزاء هذا ، إلا أننى اكتفيت بانتحال شخصيتك ، وحصلت بواسطة ذلك على قائمة عملاء (الموساد) ، التى كنت قد وعدتنى بها ، ولكن نظرًا لخياناتك ، فقد أضفت إليها قائمة عملائكم فى الشرق الأوسط ، وحوّلت عشرة ملايين دولار من مصروفاتك السّرّيّة إلى حسابى الخاص فى (القاهرة) ، حيث سأقوم ـــ فور عودتى ـــ بتحويلها إلى حساب المخابرات العامة المصريّة ، وكذلك أرسلت ملف عملية (أوكونور) إلى (الكونجرس) .

اتسعت عينا (توماس) فى رُعب ، عند سماعه هذه الجملة الأخيرة ، وهتف فى ارتياع :

— إلى (الكونجرس) ؟!.. مستحيل !!.. هذا يعني نهايتي .. سيجبرونني على الاستقالة بالتأكيد .

هزّ (أدهم) كتفيه في لامبالاة ، وهو يقول :

— أعتقد أنك تستحق ذلك يا (ألبي) .. لقد نال كلّ ما يستحق في النهاية .. (كيرليوني) و (أوكونور) .. وأنت ..

ثم شرد ببصره ، وهو يستطرد في حزم :

— ما عدا (سونيا جراهام) .

عضّ (توماس ألبي) شفتيه في غيظ ، وهو يغمغم في كراهية :

— لن تفلت بعملك هذا أبدًا يا (أدهم) .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— هكذا ؟

ثم مال نحوه ، مستطردًا في سخرية :

— سيدهشك أنني سأفعل يا عزيزي (ألبي) ، فسأستقلّ الطائرة بعد ساعة واحدة ، وأغادر بلادكم سالمًا (بإذن الله) وسيصل خطاب إلى رجالك صباح الغد ، يخبرهم بمكانك ، حتى يأتوا لحلّ قيودك ، وإعادتك إلى منزلك ، ليمكنك الوقوف أمام لجنة التحقيقات في (الكونجرس) .

هتف (توماس) في غضب :

— أنت كاذب يا (أدهم صبري) .. لا توجد طائرات متجهة إلى (القاهرة) بعد ساعة من الآن ، ولا حتى طوال اليوم .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة أخرى ، قبل أن يقول :

— ومن قال إنني سأستقلّ الطائرة إلى (القاهرة) ؟

هتف (توماس) في دهشة :

— أنت !!... أنت قلت ذلك !

رفع (أدهم) سبّابته أمام وجهه ، وهو يبتسم قائلًا :

— خطأ يا عزيزي (ألبي) .. لقد قلت إنني سأغادر بلادكم ، ولكنني لم أقل أبدًا إنني سأستقلّ الطائرة إلى (القاهرة) .

حدّق (توماس) في وجهه بدهشة ، وهو يغمغم :

— إلى أين ستذهب إذن ؟

أجابه (أدهم) في سخرية :

— ليس هذا من شأنك يا عزيزي (ألبي) .

ونهض استعدادًا لمغادرة المكان ، وهو يردف في هدوء :

— إن مهمّتي لم تنته بعد .

وترددت في أذني (ألبي) صدى ضحكة ساخرة أخرى .

* * *

١٠ ـــ الختـــام ..

هبطت الطائرة التى تقلّ (سونيا جراهام) ، فى مطار (زيورخ) بـ(سويسرا) ، وغادرتها هى والانفعال يعصف بها ، وقفزت داخل أوّل سيّارة أجرة صادفتها ، وهتفت بقائدها :

ـــ إلى بنك (كريدى سويس) .. أسرع .

انطلقت بها السيّارة نحو هدفها ، على حين أغلقت هى عينيها ، وراحت تحلم بالحصول على كل رصيد (كيرليوفى) فى البنك ، بعد أن حصلت من هذا الأخير ـــ قبل مصرعه ـــ على رقم حسابه السّرّىّ ، ومفتاح إضافى لخزانته الخاصّة ، وتوقيع معتمد على ورقة بيضاء ، أمكنها الاستعانة بخبير تزوير لتقليده فى براعة ..

كانت تعلم أن رصيد (كيرليوفى) السّرّىّ يتجاوز الخمسين مليون دولار ، وأن حصولها على مثل هذا المبلغ يمنحها قوة هائلة ، فى عالم صار يعبد المادة ، ويجعلها قادرة على إنشاء جيش خاصّ ، تقتصر مهمّته على تعقّب (أدهم صبرى) ، والقضاء عليه ..

وأفاقت من أحلامها ، حينما توقّفت السيّارة أمام البنك ، فنقدت سائقها أجره ، وتقدّمت داخل البنك فى خطوات سريعة ، وقدّمت الورقة التى تحمل توقيع (كيرليوفى) الزائف ، ومفتاح خزانته إلى موظف البنك ، وهى تقول فى انفعال :

ـــ الرصيد رقم (د ـــ ١٧٧٨٢) .. كله .

ألقى الموظف نظرة على الورقة والتوقيع والمفتاح ، ثم أجابها فى هدوء :

ـــ هذا مستحيل ياسيّدتى .

صاحت فى حِدّة :

ـــ لماذا ؟.. هل يبدو لك التوقيع زائفًا ؟

أجابها فى هدوء :

ـــ كلّا .. ولكن .....

قاطعته فى ثورة :

ـــ ولكن ماذا ؟.. إننى أحمل رقم الحساب والتوقيع ، ومفتاح الخزانة ، ومن حقّى الحصول على ما أشاء .. أين مدير البنك ؟

شَحُب وجه الموظف ، وهو يغمغم فى توتّر :

— ولكن ياسيِّدتى .....
لحق به مدير البنك ، قبل أن يتم عبارته ، وسأل (سونيا) فى قلق :

— ماذا هناك ياسيِّدتى ؟.. أنا مدير البنك .. كيف يمكننى أن أخدمك بالضبط ؟

صاحت فى وجهه فى حنق :

— إننى أحمل مفتاح الخزانة ، ورقم الحساب ، وورقة تحمل توقيع صاحبه ، وتأمركم بمنحى الرصيد كله ، فكيف يرفض ذلك الحقير تنفيذ ذلك ؟

هتف مدير البنك ، محاولاً تهدئتها :

— إنه لايملك هذا الحق بالطبع .

وألقى نظرة على التوقيع ، ثم استطرد فى ارتباك :

— ولكن هذا الحساب لايحوى أى رصيد .

حدَّقت فى وجهه بدهشة ، قبل أن تهتف فى غضب .

— ماذا تعنى بالضبط ؟.. إن هذا الرصيد يحوى خمسين مليونًا على الأقل .

أجابها المدير فى اضطراب :

— لقد كان كذلك بالفعل ياسيِّدتى ، ولكن دون

(كيرليونى) حضر بنفسه مساء أمس ، وأغلق الرصيد ، وحوَّل حسابه كله إلى (القاهرة) .

سقط فكَّها الأسفل فى ذُهول ، وهى تردِّد :

— حضر بنفسه أمس ؟!

ثم صرخت فى ثورة :

— كيف يارجل ؟.. لقد لقى دون (كيرليونى) مصرعه أوَّل أمس ، و .....

بترت عبارتها بغتة ، وقد أدركت بعد فوات الأوان خطأ تفوُّهها بها ، وتطلَّعت فى جزع إلى وجه المدير ، الذى امتقع فى شِدَّة ، وهو يقول :

— مستحيل ياسيِّدتى ، لقد حضر بنفسه أمس ، و .....

قاطعته ، وقد أدركت ما فعله بها (أدهم) :

— حسنًا .. حسنًا .. لقد فهمت .

واندفعت تغادر المكان فى حَنَق ، وهى تردِّد فى غضب هائل :

— لقد فعلتها مرَّة أخرى يا (أدهم) ، ولن أهدأ حتى أقتلك .

وصرخت فجأة ، على نحو أثار دهشة وجزع المارَّة :

— سأقتلك يا (أدهم صبرى) ..
ثم انخرطت فى بكاء حار مرير ..

* * *

أوقف (أدهم) سيارته الصغيرة أمام منزله ، فى حىّ (مدينة المهندسين) ، وغادرها فى هدوء ، ولم يكد يستدير حتى وجد نفسه أمام فتاة فاتنة ، ابتسمت فى حياء ، وهى تغمغم فى انفعال :

— مرحبًا بعودتك يا أستاذ (أدهم) .

تطلّع إليها فى دهشة ، وهو يقول :

— معذرة يا آنستى .. هل سبق لنا أن تعارفنا ؟

أسرعت تقول فى لهفة :

— كلّا .. ولكننى جارتك .. أعنى ابنة جارك الأستاذ (جميل) .. اسمى (هيام) ، وأنا طالبة بالسنة النهائية بكلية آداب (القاهرة) ، و .....

قاطعها فى لهجة مهذّبة :

— كيف حالك يا (هيام) ؟.. وكيف حال والدك الأستاذ (جميل) ؟

أجابته بابتسامة جذّابة :

— فى خير حال .. إننى أحمل إليك سلامه ، و .....

وتضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تستطرد :

— وأدعوك إلى حفل عيد ميلادى ، مساء الغد .

ابتسم وهو يقول فى هدوء :

— لن أتخلّف عن الحضور بالتأكيد .

تهلّلت أساريرها ، على حين انبعث فجأة صوت أنثوىّ غاضب يقول :

— لا داعى للتأكيد ، فلا أحد يعلم ما يمكن أن يحدث غدًا .

تألّقت اللهفة فى عينى (أدهم) ، وهو يلتفت إلى صاحبة الصوت ، هاتفًا فى حرارة :

— (منى) ؟ كم تسعدنى رؤيتك يا عزيزتى .

ألقت (هيام) نظرة ساخطة على (منى) ، التى رمقتها بنظرة متعالية ، وهى تقارن فى أعماقها بين جمالها الهادئ ، وفتنة (هيام) الواضحة ، وقالت لـ (أدهم) فى حِدّة :

— كنت أتوقّع أن تتصل بى فور عودتك .

تناسى وجود (هيام) تمامًا ، وهو يجيبها فى حنان :

— كنت سأفعل فور صعودى إلى منزلى يا عزيزتى .. كيف حالك ؟

عقدت (هيام) حاجبيها في غضب ، واستدارت تعدو نحو المنزل ، وقد أدركت من أسلوب حديث (أدهم) ، ونظراته إلى (منى) ، أنه لا مكان لها في عقله أو قلبه ، وتابعت (منى) انصرافها ، وهي تغمغم في ضيق :

— فاتنة جارتك هذه .. أليس كذلك ؟

ابتسم وهو يحتضن كفها براحته في حب ، مغمغمًا :

— عجبًا !!.. إنني لم ألحظ ذلك .

وخفق قلبها ، وتضرج وجهها بحمرة الخجل ، حينما أردف في همس عاطفي :

— لقد حجب عني جمالك كل شيء .

ابتسمت في حياء ، وسحبت كفها من راحته في رفق ، وتنحنحت ، وهي تغمغم محاولة تغيير الحديث :

— ماذا حدث في الإدارة ؟.. يقولون إنك قد انصرفت غاضبًا ، بعد لقائك مع المدير .

تنهد في ضيق ، وهو يقول :

— لقد أغضبهم أن أقوم بمهمة لصالح المخابرات الأمريكية ، دون الحصول على إذن رسمي بذلك .

هتفت في دهشة :

— ولكن مهمتك كانت ناجحة للغاية .. لقد أحضرت لنا قائمة بأسماء عملاء (الموساد) وعملاء المخابرات الأمريكية في الشرق الأوسط ، وأضفت إلى رصيدنا ما يقرب من ستين مليونًا من الدولارات ، و .....

قاطعها في ضيق :

— خبراؤنا يقولون إنه ما من فائدة للقائمتين ، لأن معرفة الجميع بحصولنا عليهما ، يعني إبدال كل الأسماء الواردة فيهما ، وتغيير الجواسيس والعملاء ، على حين كان رجالنا قد كشفوا أمر بعضهم بالفعل ، وبدءوا في مراقبتهم ، تمهيدًا للإيقاع بهم .

غمغمت في توتر :

— وماذا عن الستين مليون دولار ؟

أجابها في حنق :

— هذا لا يساوي شيئًا في رأيهم ، أمام خسارتهم لخطة كشف الجواسيس .

أطرقت برأسها ، وهي تغمغم :

— إذن فقد اعتبروها مهمة فاشلة .

صمت لحظة ، قبل أن يقول في ضيق :

— نعم .. أول مهمة فاشلة في سجلي كله .

ران عليهما الصمت طويلاً ، قبل أن يقول هو ، محاولاً إدارة دفة الحديث بعيدًا :

— هل عاد (أحمد) إلى (السويد) ؟

أجابته في خفوت :

— نعم .. وسيأتي لزيارتك بعد شهر واحد .

سألها في هدوء يخفي مايموج به صدره من انفعالات :

— وماذا عن إصابة ذراعك ؟

أجابته في خفوت أيضًا :

— لقد شفيت تقريبًا ، ماذا عن إصاباتك أنت ؟

ابتسم مغمغمًا :

— ستشفى كسابقتها .. لقد اعتدت ذلك .

ران عليهما الصمت لحظات أخرى ، ثم سألته بغتة :

— ماذا سيفعلون بك يا (أدهم) ؟

سألها في هدوء :

— ماذا تعنين ؟

سألته في انفعال :

— أعني هل سيعاقبونك على فشلك ؟

حاول أن يبدو هادئًا ، إلا أن كلماته جاءت مفعمة بالمرارة ، وهو يجيب :

— لقد فعلوا .

سألته في توتر :

— ماذا فعلوا بالضبط ؟

صمت لحظة ثم أجاب :

— لقد نقلوني من إدارة العمليات الخارجية ، إلى الإدارة المكتبية .

اتسعت عيناها ، وهي تهتف في استنكار :

— عمل إداري ؟!.. إنهم بهذا يُهدرون طاقاتك وإمكاناتك ، و .....

قاطعها في حزم :

— نعم يا عزيزتي .. لقد قرروا ذلك .

وكتم عواطفه وغضبه ومرارته ، وهو يستطرد :

— لقد انتهى عهد العمل الجاد يا (منى) .

سالت الدموع من عينيها ، وهي تغمغم في مرارة :

— هم الخاسرون يا (أدهم) .. هم الذين سيشعرون بالندم ، لأنهم تخلوا عن (أدهم صبري)) ..

وصمتت لحظة ، قبل أن تردف في خفوت :

— عن (رجل المستحيل) ..

[تمت بحمد الله]